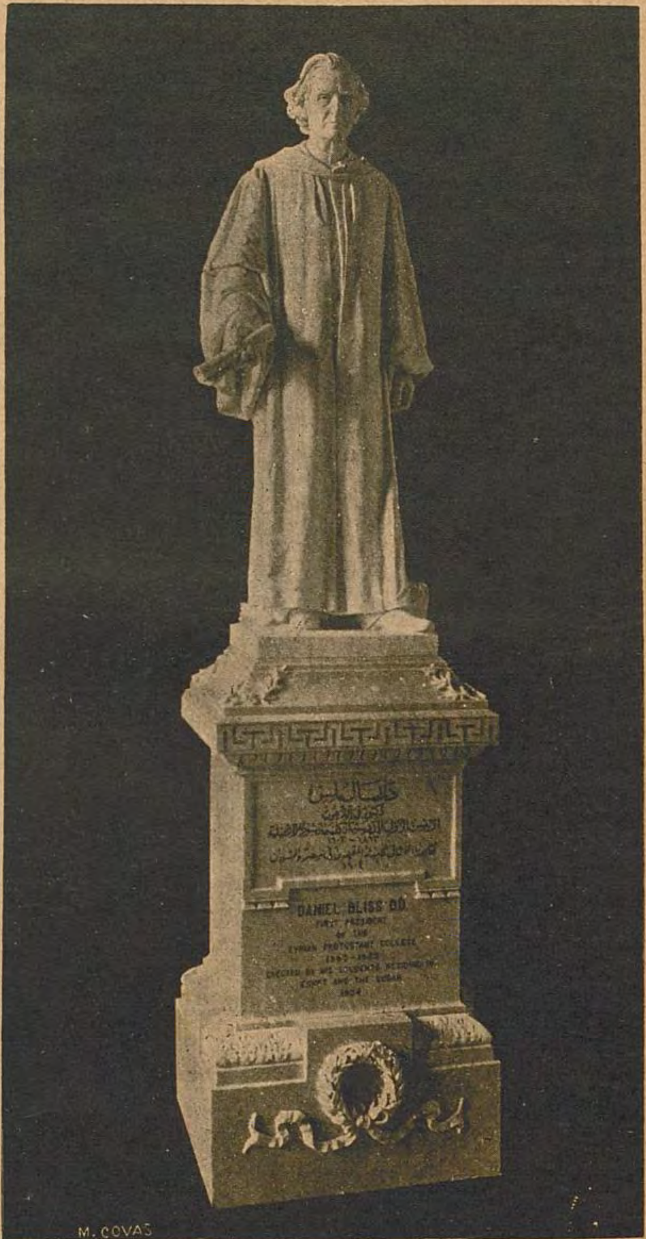
دانيال بلس
DANIEL BLISS DD
FIRST PRESIDENT
OF THE
SYRIAN PROTESTANT COLLEGE
EGYPT AND THE SUDAN
M. COVAS

تمثال الدكتور دانيال بلس

Orient. Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg / Br.
Inv.
Az 14/8

المقتطف

الجزء السابع من المجلد التاسع والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٢

# تمثال الدكتور بلس

اشرنا في الجزء الماضي الى الاحتفال الباهر الذي احتفلتهُ المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت باستلام التمثال الذي صنعهُ متخرجو المدرسة الكلية المقيمون في هذا القطر لرئيسهم الاول الدكتور دانيال بلس ووعدنا هناك بنشر صورة هذا التمثال حالما ترد الينا فصدرنا بها هذا الجزء الآن

والتمثال من الرخام الابيض الناصع البياض وهو بالقطع الطبيعي تماماً يمثل الدكتور بلس بحلة الرئاسة ماسكاً بيدهِ الدبلوما التي يسلمها للتلامذة وتحتهُ قاعدة من الرخام الابيض ايضاً ارتفاعها نحو مترين وقد نقش عليها بالعربية ما نصهُ

دانيال بلس

دكتور في اللاهوت

الرئيس الاول للمدرسة الكلية السورية الانجيلية

اقام هذا التمثال تلامذتهُ المقيمون في مصر والسودان

وتحتها ترجمتها بالانكليزية . وها صورة الكتاب الذي قرأهُ المندوب الذي انتدب لازاحة الستار عن التمثال وتقديمهِ الى لجنة المدرسة الكلية الانجيلية

استاذنا العزيز

ان ابناءك المنتشرين في هذا القطر السعيد يزرعون ويتجرون ويتعلمون ويطببون وينشئون الصحف والمجلات ويخدمون حكومة البلاد في كل دوائرها وفي جميع انحائها من خط الاستواء جنوباً الى ثغور بحر الروم شمالاً وفي يدهم نبراس المعارف الذي اسرجوهُ في هيكل العلم هذا

انتدبوني لكي اعرب كتابةً كما انتدبوا الاخ نسيم افندي البرباري لكي يعرب شفاهاً عمَّا يخالج قلوبهم من الشكر لك يوم يرفع الستار عن هذا التمثال في مشهد من ابناء مدرستهم ومن وجهاء هذه المدينة

حالما انتشر بين ظهرانيهم عزم اخوانهم المقيمين في سورية على تقديم علامة شكر لك اجتمع جمهور كبير منهم في القاهرة عاصمة الديار المصرية في ادارة المجلة العلمية التي نشأت في حمى هذه المدرسة ولاتزال ترتوي من المعارف المقتبسة منها . والذين تعذَّر عليهم الاجتماع معهم لبعد اماكنهم كتبوا يعربون عن سرورهم بهذا الرأي المجيد واجمعوا كلهم على ان تكون علامة الشكر لك مما يرى بالعيان ويبقى راسخاً على كرور الازمان ويكون من ادل الدلائل على مزاياك علو الهمة وثبوت العزيمة وطهارة السيرة تمثالاً من الرخام الاصم يثبت ثبوت التماثيل التي نصبت للعظماء في كل العصور يمثل ما في وجهك من المهابة والجلال والذكاء والدعة ويدلُّ ببياضهِ الناصع على طهارة قلبك وصفاء سريرتك ليكون تذكاراً للخلف من رؤساء هذه المدرسة واساتذتها وتلامذتها يرون فيهِ شكل الرئيس الاول الذي غرست يمينهُ بزرة صالحة وتعهَّدتها بالعناية فنمت واينعت وانتشر عرف ازهارها في الخافقين والحلقة الاولى من سلسلة رؤساء افاضل يقتفون آثارك فيستحقون ان يقوم تلامذتهم و ينصبوا لهم التماثيل الى جانب تمثالك

اما شكرنا لك الذي يشاركنا فيهِ كل ناطق بالضاد فاسبابهُ واضحة مشهورة فقد كان لك اليد الطولى في انشاء هذه المدرسة وتسهيل الطلب فيها على طلاَّب المعارف اغنياء كانوا او فقراء ولك اليد البيضاء في تهذيب اخلاقهم وتكبير نفوسهم حتى يصيروا رجالاً يعتمدون على ما وهبهم الله من قوى العقل والجسد

وقد لايتصوَّر ابناء المدرسة المقيمون فيها الآن وكثيرون من هذا الجمع مقدار المصاعب التي ذللتها حتى انشئت هذه المدرسة وبلغت مابلغتهُ من السعة والشهرة فان المدارس الكليَّة تحتاج الى نفقات كبيرة لايقوم بها الاَّ الممالك الغنية او كبار الموسرين الذين اعتادوا الانفاق على الاعمال النافعة ولذلك لم يكن في الامكان انشاء مدرسة كلية من اموال تجمع في هذه البلاد فطرقت ابواب قومك الاميركيين في مواطنهم وما زلت تحث الاغنياء والفضلاء وترغبهم في هذا العمل المبرور حتى جمعت ما يكفي من المال للشروع في هذا العمل . وكان اهالي هذه البلاد بين الستين والسبعين ( بعد الثمانمائة والالف ) ينفقون على كل شيء بسخاء الاَّ على تعليم اولادهم وكثيراً ما كان الواحد منهم يولم وليمة فاخرة للمرسل من المرسلين ينفق عليها مئات من الغروش ثم يتوسل اليهِ ان يتنازل لهُ عن قليل من اجرة تعليم ابنهِ او عن ثمن كتاب

يتعلم فيهِ . ورأيت بعينك النقادة ان ارباب العلوم والفنون وقادة الامم في معارج العمران لا يكونون غالبًا من اهل الثروة والجاه بل من ابناء الفقراء الذين لا يستطيعون ان ينفقوا على التعليم في المدارس العالية ولا سيما حيث لم يشع الانفاق على التعليم فاعددت المال الكافي للانفاق على تعليمهم بل كنت تكسو البعض منهم وتعطيهم الكتب مجانًا

ثم ان العربية كانت خالية من الكتب العلمية الحديثة على ما فيها من كتب اللغة ولم يكن من الكتب العلمية في ايدي التلامذة الاولين سوى كتاب الجبر والهندسة فاضطر الاساتذة ان يؤلفوا ويترجموا كتبًا في الرياضيات والطبيعيات والعقليات والكيمياء والفسيولوجيا والنبات والحيوان والعلوم الطبية على انواعها . ولم يكن للمدرسة بناء تأوي اليهِ فاضطرت ان تأوي دارًا عارية سبع سنوات متوالية وبسعيك وسعي اخوانك الاساتذة واصدقائكم في اميركا واوربا ايضًا صارت المدرسة الكلية بلدًا يقيم فيهِ مئات من التلامذة على الرحب والسعة

وكان ابناء المدارس يربون علي الخوف من المعلمين والنظر اليهم نظر العابد الى المعبود حتى جرى على ألسنتهم المثل المألوف من علمني حرفًا صرت لهُ عبدًا وكانت المرأة تأخذ ابنها الى المدرسة وتقول للمعلم اللحم لك والعظم لي فيتخذ المعلم قولها حجة ويفهم كلامها على ظاهرهِ ولا يذخر وسعًا في اقناع الولد بان ما قالتهُ امهُ هو الصواب . وكثيرًا ما رأينا شبان بيروت يطرحون على الثرى في احدى المدارس الكبرى وتكسر على اقدامهم بضعة قضبان من الرمان

امور تحقر التعليم وتصغّر النفوس وتربي فيها البغض للمدارس . هذه كلها كانت جارية في مدارس سورية وقتما انشأت المدرسة الكليَّة وجعلت تعلم تلامذتها كأَنهم ابناؤُك وتدعوهم الى بيتك كأَنهم اقرانك وتعرّف بهم الناس كأَنهم اخوانك لم تضع يدك على تلميذ وانت مغتاظ ولم تكلمهُ كلمة تصغر نفسهُ بل كنت بالضد من ذلك لا تبث في نفوس التلامذة الاَّ المروءة والشهامة وعزة النفس

فتلامذتك مديونون لك لانك يسَّرت لهم وسائل التعليم والتهذيب مديونون لك بما يرفع شأن الانسان بين اقرانهِ ويجعلهُ نافعًا لوطنهِ فلا عجب اذا شكروا لك هذه الايادي البيضاء ومثلوا شكرهم بعلامة ظاهرة للعيان

ولقد كنا نود الاستقلال بهذا العمل ولكننا كنَّا نقدم رجلاً ونؤخر اخرى مخافة ان لا يأتي طبق المرام فأتيتنا على غير انتظار وتفضلت علينا بما لم نكن نجسر ان نتوقعهُ منك وتحملت مشقة السفر الى ايطاليا على كبر سنك لكي يراك النحات ويأتي عملهُ كاملاً على قدر الامكان ورافقتك قرينتك الكريمة في هذا السفر كما رافقتك في كل اعمالك السابقة من حين

شرعت في مناداة الناس الى مساعدتك على انشاء هذه المدرسة الى الآن فلها كما لك الفضل الاكبر علينا حتى في هذا العمل الذي كنا نود ان نكون مستقلين فيهِ

وانتم أيها السادة رئيس المدرسة واساتذتها وعمدتها لقد تفضلتم علينا فسمحتم لنا ان نضع هذا التمثال في حماكم فاقبلوهُ منا واحتفظوا بهِ كرماً منكم واكدوا ان لكم كما لرئيسنا الاول مئات من التماثيل مبثوثة في اقطار المسكونة وهم رسائل حية لكم معروفة ومقروءة من جميع الناس وبهم فخركم الاكبر ترونهم في معترك الحياة يذللون الصعاب بالقوى العقلية والادبية التي استمدوها منكم · وغاية ما نرجوهُ الآن ان يكون عملنا هذا مقبولاً لديكم ولدي جمهور الفضلاء الذين تكرموا فشرفوا هذا الاحتفال نسأل الله ان يرسخ فينا خلق الاعتراف بالجميل والشكر على المعروف حتى نتبارى فيهِ ونتنافس لا زالت معاهد العلم سماء وانتم شموسها · (يعقوب صروف)

اما الخطبة التي خطبها المندوب فكانت بالانكليزية وسننشر تعريبها في جزء تالٍ

# فضل الشرق على الغرب

لم يقم حتى الآن دليل علمي على وطن الانسان الاول ولكن الادلة متوفرة على ان العمران ابتدأ في المشرق واتصل منهُ الى المغرب ودعائم هذا العمران كثيرة اكبرها ما يلي

اولاً الدين — الاديان المشهورة التي لها الآن الشأن الاكبر في مصالح الامم اليهودية والمسيحية والاسلامية ابتدأت كلها في الشرق . ومهما حاول اهالي اوربا ان يغمطوا فضل الشرق عليهم فلا يستطيعون ان ينكروا فضل الديانة المسيحية في تهذيب اخلاقهم وتشييد دعائم عمرانهم

ثانياً الكتابة — رأى بعضهم من النقوش التي اكتشفت حديثاً في جزيرة كريت ما استدلَّ منهُ على ان الكريتيين استنبطوا الكتابة بالحروف الهجائية قبل غيرهم لكن العلماء المحققين ينكرون ذلك · ولا يزال جمهورهم يعتقد ان الفينيقيين اهالي سورية هم اول من استنبط الكتابة بالحروف الهجائية . وهب ان الفينيقيين لم يستنبطوها فهم الذين نقلوها الى اوربا وعلَّموا اليونان استعمالها ويكاد ذلك يكون امرًا تاريخيًا ولا تزال اسماء الحروف اليونانية دليلاً على اصلها السامي

ثالثاً الارقام الهندية — هذه الارقام اعترف العرب انهم اقتبسوها من الهنود كما يدل اسمها العربي واعترف الافرنج انهم اقتبسوها من العرب كما يدل اسمها في لغاتهم ولا مجال للشك

في هذين الامرين . وفوائد العلوم الحسابية وكل ما بني عليها اعظم من ان تذكر واكثر من ان تحصى . انزع من العمران الحروف الهجائية والارقام العددية وما بني عليها فلا يبقى منهُ ربعهُ . واقدم ما وجد من الكتابات العربية وفيهِ ارقام هندية قراطيس من البردي وجدت حديثاً في الفيوم تاريخها سنة ٨٧٣ للميلاد

رابعاً الحك المغنطيسي — ان جانباً كبيراً من العمران ومن تعمير المسكونة سببهُ سهولة السفر بحراً وللحك المغنطيسي اليد الطولى في ذلك . ولقد كان الحك معروفاً ومستعملاً عند الصينيين في اوائل القرن الثاني من التاريخ المسيحي واستعملهُ العرب في اواسط القرن التاسع

خامساً البارود — لا يرتقي العمران الاَّ في زمن السلم ولا يدوم السلم الاَّ اذا قويت معدات الحرب وخيف منها ولقد كان لاستعمال البارود اليد الطولى في تقليل الحروب وتقصير مددها واطالة ازمنة السلم . والادلة متوفرة على ان الصينيين استعملوا البارود في اواسط القرن الثالث عشر وان العرب تعلموا عملهُ منهم في ذلك الحين فسموا ملح البارود ثلج الصين . قال ابن البيطار ثلج الصين هو البارود المعروف بزهرة حجر اسيوس وقال في كلمة اسيوس هو ثلج الصين عند القدماء من اطباء مصر ويعرفهُ عامة المغرب واطباؤُها بالبارود . وذكر حسن الرماح مقذوفات البارود في كتابهِ الذي الفهُ بين سنة ١٢٧٥ و ١٢٩٥ للميلاد فقال انها بيضة تخرج وتحرق

سادساً الطباعة — لامشاحة ان الطباعة من انفع المخترعات للعمران ان لم تكن انفعها كلها ولها اساسان لاغنى لها عنهما الاول استنباط الحروف الهجائية والثاني استنباط الورق والاَّ فالطباعة نفسها اهتدى اليها الناس من عهد قديم منذ صنعوا الخواتم والختوم ولكنهم لم يتوسعوا فيها لانهم لم يكونوا قد اهتدوا الى اساسيها المهمين الحروف الهجائية المنقطعة والورق

اما الحروف الهجائية فقد تقدم ان الفضل للمشارقة في استنباطها وفي نقلها الى اوربا . والوراقة او عمل الورق الفضل في استنباطها للصينيين فانهم كانوا يكتبون اولاً على القنا كما كان المصريون يكتبون على البردي ثم صاروا يكتبون على الحرير ونحو سنة مئة للمسيح استنبط واحد منهم عمل الورق من القنَّب والخرق ولحاء الاشجار كما يُعمل اللبد من الصوف ورأوا فائدة هذا الاستنباط فاكرموا صاحبهُ ورفعوا قدرهُ

وذكر الثعالبي في كتاب لطائف المعارف ما نصهُ " ومن خصائص سمرقند الكواغيد التي عطَّلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون فيها لانها احسن وانعم وارفق واوفق ولا تكون الاَّ بها وبالصين . ذكر صاحب كتاب المسالك والممالك انهُ وقع من الصين الى سمرقند في سبي سباهم زياد بن صالح من اتخذ الكواغيد بها ثم كثرت الصنعة واستمرَّت

العادة حتى صارت متجرًا لاهل سمرقند فعم خيرها والارتفاق بها في الآفاق "

ويظهر من كتب التاريخ العربية والصينيَّة ان زياد بن صالح قهر الترك وانصارهم من الصين في شهر يوليو سنة ٧٥١ للمسيح وهي توافق اواخر سنة ١٣٣ للهجرة وعليهِ قد اتصلت الوراقة من الصين الى ممالك العرب في اواسط القرن الثامن للميلاد

ويظهر مما رواهُ ابن خلدون في المقدمة انهُ لما كان الفضل بن يحيي البرمكي واليًا على خراسان عرف ان الصينيين يصنعون الورق في سمرقند فنقل صناعتهُ الى خراسان ومن ثم انتشرت الوراقة في ممالك المسلمين وكان الورق الخراساني يعمل من الكتان على ما جاء في كتاب الفهرست قال " والصين تكتب في الورق الصيني ويعمل من الحشيش واما الورق الخراساني فيعمل من الكتان ويقال انهُ حدث في ايام بني اميَّة وقيل في ايام الدولة العباسية وقيل ان صنَّاعًا من الصين عملوهُ بخراسان على مثال الورق الصيني" . ظهر بالبحث المكرسكوبي ان الورق المصنوع من الكتان اقدم من الورق المصنوع من القطن . وقد عثر بعض الاوربيين على رسالتين كتبتا سنة ٨٠٠ للميلاد على ورق صنع في بغداد . ولم يكد عمل الورق ينتشر في القطر المصري حتى اهمل عمل قراطيس البردي رويدًا رويدًا ولم يعد يصنع منها شيءٌ بعد القرن العاشر ولكن لم يصل عمل الورق الى جنوبي اوربا الاَّ في القرن الثاني عشر وبلغ المانيا في القرن الرابع عشر

وانتقلت الطباعة من الشرق الى الغرب كما انتقلت الوراقة فان المصريين كانوا يطبعون النقوش على منسوجاتهم منذ القرن السادس . وكان الصينيون يطبعون على الورق منذ سنة ١٧٥ للميلاد وانتشرت الطباعة في بلاد الصين في القرن السادس للمسيح وكانت عن صفائح خشبية وامتدت منها الى بلاد اليابان وجاء في سجلات اليابان ان الملكة شوتوكو امرت بتوزيع مليون من الهياكل الخشبية الصغيرة وقد طبع على كلٍّ منها آية من كتاب البوذيين فمالا نربهاسا شترا وكان ذلك سنة ٧٦٤ للمسيح وتمَّ العمل بامرها سنة ٧٧٠ للمسيح . وقد وجد بعض هذه الهياكل الصغيرة ووجد فيها دروج عليها الكتابة المشار اليها بالحروف الصينية . ووجدت صفائح معدنية للطباعة تمتد في تاريخها الى سنة ٨١٦ للمسيح ووجد بعضهم كتابًا في الصينية طبع سنة ١٠٥٤ وفيهِ صورة المؤلف وصور اخرى . والظاهر ان العرب اقتبسوا صناعة الطباعة من الصينيين حال اتصالهم بهم فقد وجد في دفائن الفيوم ثلاثون صفحة عربية مطبوعة من القرن التاسع والعاشر للميلاد وفي بعضها حروف قبطية وفي بعضها اجزاءٌ من القرآن دلالة على ان المسلمين لم يكونوا يأنفون من طبعهِ في المطابع حينئذٍ . ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يطبعون نقود الورق ويتداولونها فقد

جاء في كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لابي شامه انهُ "حضر جماعة من التجار (الى الملك العادل) وشكوا ان القراطيس كان ستون منها بدينار وتزيد وتنقص فيخسرون فسأَل عن كيفية الحال فذكروا له ان عقد المعاملة على اسم الدينار ولا يرى الدينار في الوسط وانما يعدون القراطيس بالسعر تارة ستين بدينار وتارة سبعة وستين بدينار"

وظهر بعد البحث الدقيق ان اهالي كوريا اول من استنبط الطباعة بالحروف المنفصلة كما هو جار الآن فقد قال الصينيون ان حداداً منهم اسمهُ بي‌شونغ صنع حروفاً للطباعة من الخزف بين سنة ١٠٤١ و ١٠٤٩ للميلاد ورأى بعض الباحثين في هذا الموضوع كتباً صينيَّة مطبوعة بحروف منفصلة منذ سنة ١٣١٧ ولا يعلم ما اذا كانت صينيَّة او كوريَّة ورأى كتباً اخرى كورية الاصل طبعت بحروف معدنية واحداً منها طبع سنة ١٤٠٩ وفيهِ وصف الطباعة بالحروف المنفصلة ويقال فيهِ ان ملك كوريا رأى ان الطباعة عن الصفائح الخشبية لا تفي بالمراد فامر بعمل حروف الطباعة من النحاس على نفقتهِ الخاصَّة وكان ذلك في اواخر سنة ١٤٠٣ واوائل سنة ١٤٠٤ ويختم هذا الفصل بالصلوات والابتهالات لنجاح هذا العمل

والظاهر ان العرب تعلموا الطباعة بالحروف المنفصلة من الصينيين ولكن لا دليل على ان الاوربيين تعلموها منهم والمرجح ان الاوربيين اتصلوا اليها من تلقاء انفسهم ولكن لو لم يتعلموا من العرب عمل الورق ما كان للطباعة شأن يذكر

وجملة القول ان الفضل لاهالي المشرق في دعائم العمران الدين والكتابة والارقام الهندية والحك المغنطيسي والبارود والوراقة والطباعة

* * *

## الصور في الطباعة

عبَّر الناس عن معانيهم بالصور المرسومة قبلما عبَّروا عنها بالكلمات المكتوبة . ثم اختزلوا الصور فتولدت منها الكتابة بالكلمات اولاً ثم بالحروف . ولذلك تجد الصور في اقدم ما كتبهُ الناس او ارادوا التعبير بهِ عن اغراضهم بل تجدها بين الآثار التي بقيت من عهد سكان الكهوف الذين كانوا يصيدون الفيل في فيافي اوربا قبلما غمرها الجليد في العصر الجليدي الاخير وقرض الافيال منها ولعلَّ ذلك كان منذ اكثر من عشرة آلاف عام

وكان المصريون يجمعون بين التصوير والكتابة في كل نقوشهم القديمة والحديثة من قبل التاريخ المسيحي باربعة آلاف او خمسة آلاف سنة الى ما بعدهُ باربع مئة او خمس مئة سنة

وترى نقوشهم القديمة والحديثة في كل هيا كلهم وقراطيسهم ممزوجة بكتاباتهم

وظلّ الناس يمزجون الصور بما يكتبونهُ الى يومنا لانها تعبّر عن المراد على اقرب سبيل بل ان الكلمات المكتتبة تعجز احياناً كثيرة عن وصف المراد مهما كان فيها من الاسهاب ولا ترسم في ذهن القارىء صورة واضحة الاَّ اذا كان الكاتب بليغاً في الوصف وكان الموضوع مما يسهل التعبير عنهُ · وقد رأينا كتباً عربيَّة خُطَّت منذ مئات من السنين في علم الحيوان والنبات وفي علم الهيئة رسمت فيها صور الحيوانات والنباتات وصور ابراج السماء ومجاميع النجوم كما تخيلها الاقدمون وبعضها متقن الصنعة بديع الالوان يدل على مهارة صانعيها في صناعة الرسم والتصوير

ولما شاعت الطباعة في اوربا عن الصفائح قبلما شاعت عن الحروف المنفصلة صار الصنَّاع ينقشون الصور على الخشب او المعدن كما ينقشون الحروف عليها و يطبعون هذه وتلك معاً وقد طبعوا كذلك قصص التوراة وسموها توراة الفقراء · ثم شاع استعمال الحروف المنفصلة فصارت الصور تنقش وحدها وتطبع معها او يترك لها مكان بين الحروف تطبع فيهِ

وتفنَّن النقاشون في نقش الصور وبرعوا فيهِ براعة منقطعة النظير حتى انك لتجد في بعض الكتب التي طُبعت في القرن الماضي والذي قبلهُ صوراً بالغة غاية الدقة لا تكاد تفرق بينها وبين الصور الشمسية المتقنة ولا ترى ما فيها من الخطوط والنقط الدقيقة ما لم تنظر اليها بنظارة تكبر المنظورات وكان للصناع الفرنسويين اليد الطولى في اتقان النقش واقتدى بهم الالمان والانكليز

و بينما كان النقاشون يتفننون في نقش الصور وطبعها حتى صار ذلك صناعة لا يستطيعها الاَّ النابغون منهم ظهر اسلوب جديد لنقش الصور بواسطة التصوير الشمسي والحفر الكيماوي وكانت الصور الاولى التي نقشت كذلك بعيدة عن الاتقان ثم زاد اتقانها رويداً رويداً في عهد قرَّاء المقتطف حينما استنبطت الشبكة التي تحل الصور الى مربعات صغيرة دقيقة · ومن ثم صار النقش صناعة ميكانيكية يستطيعها الصانع الماهر وغير الماهر وللحال كثرت الجرائد والمجلاَّت المصورة كثرة فائقة الحد وصار بعضها يملأُ صفحاتهِ بالصور لانهُ وجدها ارخص من الكتابة

والناس في عصر البخار يقتبس بعضهم ما عند البعض الآخر بسرعة البريد ان لم يكن بسرعة البرق فحالما شاع في اوربا نقش الصور بالمواد الكيماوية بعد تصويرها بالفوتوغرافيا رأى بعض النجباء من ابناء الشرق ان يقتبسوا هذه الصناعة و يزينوا كتبنا وجرائدنا بها · و يظهر لنا ان الاساليب الاخيرة التي اعتمد عليها الخواجه ميشال كوفا الذي صنع لنا صورة تمثال الدكتور بلس المنشورة في صدر هذا الجزء بشبكة متقاطعة الخطوط والصورة المقابلة بشبكة متوازية الخطوط هي ادق الاساليب التي استعملت حتى الآن وقد اتقنها غاية الاتقان

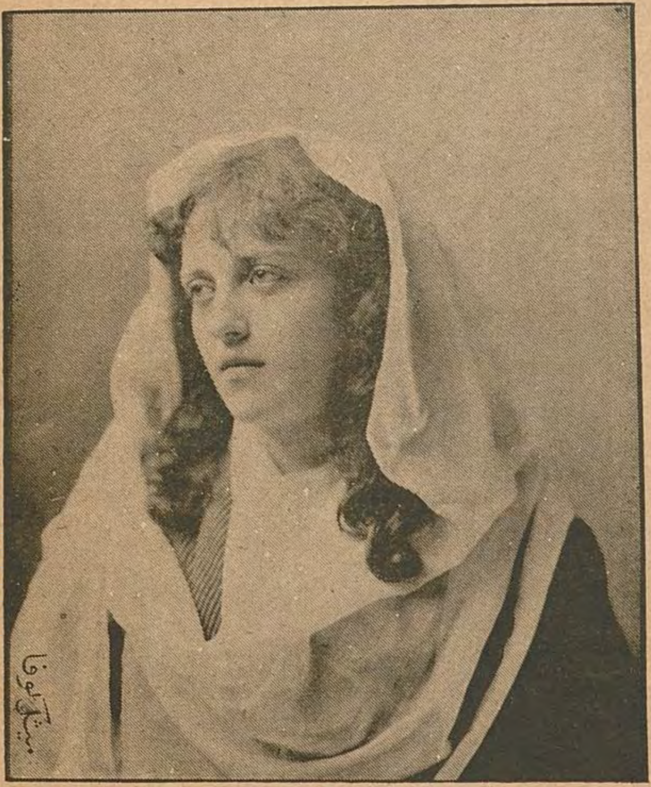

نقش شبکیتهٔ خطوط متوازیه

# قوانين يوستنيانوس

## الكتاب الثاني

### الفصل الاول في تقسيم الاشياء واسباب تملكها

الاشياء اما موروثة واما غير موروثة فمنها مباح بالشرع الفطري لجميع الناس . ومنها مشاع . ومنها مختص بجماعة . ومنها غير مملوك لاحد . ومعظمها مملوك لافراد

(١) الاشياء المباحة لجميع الناس بالشرع الفطري الهواء والماء الجاري والبحر وشواطئه (١)

(٢) الانهار والمراسي مباحة

(٣ و ٤) شواطئ الانهار مباحة بحكم شرع الامم

(٥) شواطئ البحر مباحة ايضاً بمقتضى شريعة الامم وما هي بمملوكة لاحد

(٦) الاشياء المختصة بجماعة هي ما في المدن مثل الملاعب ومضامير السباق الى غير ذلك من الاشياء المشتركة

(٧) ان الاشياء الموقوفة والاشياء الدينية والمقدَّسة غير مختصة باحد

(٨) الاشياء الموقوفة هي ما أُفرد لله باحتفال ديني ولا يسوغ لنا ان نبيعها اونرهنها الاَّ لافتداء الاسرى (٢)

(٩) من يدفن في ارضهِ ميتاً يجعل فيها مكانًا دينياً (٣) ومتى كانت الارض مشتركة ولا مدفن فيها فليس لاحد الشريكين ان يأذن في الدفن فيها الاَّ برضا شريكهِ وهذا جائز في قبر مشترك . وليس لمالك الارض المستأجرة ان يجعل فيها مكانًا دينيًا الاَّ برضا المستأجر

( ١ ) الاشياء المقدَّسة متعلقة بالشريعة الالهية

(١١) تمتلك الاشياء بوجوهٍ مختلفة منها ما يمتلك بالشرع الفطري ومنها ما يمتلك بالشرع المدني ومن المناسب الابتداء بالاول

---

(١) في الفقه الاسلامي « الماء والكلاء والنار مباحة وكذا البحر والبرك الكبيرة » كما في المجلة والدرّ المختار

(٢) في الفقه الاسلامي « اذا صح الوقف لم يجز بيعهُ ولا تمليكهُ لخروجهِ عن ملك الواقف » كما في شرح القدوري لشيخنا المرحوم الشيخ عبد الغني الميداني الدمشقي

(٣) من جعل ارضهُ مقبرةً يزول ملكهُ عنها عند ابي يوسف وعند محمد اذا دفن الناس في المقبرة زال الملك ومن بنى مسجدًا وفرزهُ عن ملكهِ بطريقة واذن للناس بالصلاة فيهِ فاذا صلى فيهِ جماعة على الاشهر زال ملكهُ . عن « شرح القدوري »

(١٢) ان الحيوانات البرية لمن اخذها وذلك بمقتضى شرع الامم . ولا ينظر الى المكان الذي اصطيدت فيهِ فسواء اصطادها من ارضهِ او من ارض غيرهِ . كل ما اصطدتهُ لا يصير ملكك الا قدر ما بقي في يدك

(١٣) اذا جرحت حيوانًا ضاريًا وانت تريد صَيْدَهُ فلا يعدُّ ملكاً لك الاَّ عند وقوعهِ في قبضتك

(١٤) اذا وقع النحل على شجرتك فلا يصير ملكاً لك الاَّ بعد ان تجعلهُ في الخلية فالنحل حينئذٍ يصير اكثر اختصاصاً بك من الطير التي تعشش في شجرتك . والخشرَمُ المسروق من خليتك يُعَدّ ملكك ما دام غير غائب عن نظرك وما دام تتبعهُ وادراكهُ سهلاً عليك

(١٥) أما الحيوانات المتعوّدة الذهاب والرجوع فالقاعدة انها ليست لك الاَّ بقدر ما تحافظ على ارادة العود اليك

(١٦) الدجاج والأَوَزُّ ليست من الطيور الوحشية طبعاً ولهذا اذا خافت فطارت فلا تزال ملكاً لك حتى ولو غابت عن نظرك

(١٧) ما نغنمهُ من العدوّ يصير للحال ملكاً لنا بحسب شرع الامم (١)

(١٨) الحجارة الثمينة واللآلئ وسائر ما يوجد على شاطئ البحر بحسب الشرع الفطري لمن يجدها

(١٩) ما يولد من حيوانك فهو لك بحسب الشرع الفطري

(٢٠) اذا جرَّ النهر الى حقلك تراباً فهو لك بحكم شرع الامم (٢)

(٢١) اذا طغى النهر فجرَّ قطعة من ملك رجل وضمها الى ملك جارٍ فلا تبرح تلك القطعة ملكاً لصاحبها الاول

(٢٢) الجزيرة في البحر ملك لأَوَّل من احتلها . واما الجزيرة في وسط النهر فهي مشتركة بين المُلاَّك المقيمين على ضفتي النهر . وهذا على نسبة طول وعمق كل منهما واذا كان احد الشاطئين اقرب اليها من الآخر فهي لاصحاب الاملاك المكونة الشاطئ الاقرب

(٢٣) اذا تحول نهر عن مجراهُ الطبيعي بالكلية الى جهة اخرى دخل المجرى القديم في ملك اقرب الجيران الى الشاطئ وصار المجرى الجديد مشاعاً

---

(١) في الفقه الاسلامي « لا يقسم الامام الغنيمة في دار الحرب حتى يخرجها الى دار الاسلام لان الملك لا يثبت للغانمين الاَّ بالاحراز في دار الاسلام »

(٢) النهر اذا جاء بطين الى ارض احد فهو ملكهُ لا يسوغ لآخر ان يتعرّض لهُ (المادة ١٢٤٠ من المجلة)

(٢٤) اذا غمر الماء ارضاً ثم انحسر عنها فظاهرٌ انها تبقى على ملك من كانت لهُ

(٢٥) من احدث شيئاً في عينٍ لآخر فان كان من الممكن ردُّها الى حالها الأُولى كان الملك لصاحبها . والاَّ فهي لمن أَحدث فيها شيئاً (١)

(٢٦) من ادخل في نسج ثوبهِ أُرجواناً لآخر فالارجوان يتبع الثوب

(٢٧) اذا اختلطت الموادُّ برضا المالكين فالمختلط كلهُ مشترك بينهما . فان كانت الموادُّ مختلفةً ونشأ عن اختلاطها شيءٌ خاصٌّ فذلك الشيء مشترك بين المالكين . واذا اختلطت الموادُّ اتفاقاً فسواءٌ كانت متماثلة او متباينةً يحكم بأَن المختلط مشترك بينهما تبعاً لقاعدة المختلط رضاء

(٢٨) اذا اختلطت حنطة زيد بحنطة عمرو عن رضاً منهما فالخليط مشترك بينهما وليس الامر كذلك ان حصل الاختلاط اتفاقاً او بغير رضاً من احدهما

(٢٩) من بني في ارضهِ بموادَّ لآخر فالبناء لصاحب الارض . واما صاحب المواد فلا يزال مالكاً لها ليس لهُ ان يستردَّها ولا أَن يتصرف فيها حتى ترد اليهِ . ذلك كي لا يضطر الى هدم البناء

(٣٠) من بنى بموادهِ في ارض الغير صار البناء ملك صاحب الارض . واما صاحب المود فيزول ملكهُ عنها في هذه الحال افتراض انهُ عالمٌ بأَنهُ يبني في ملك الغير

(٣١) اذا غرس زيدٌ في ارضهِ شجرةً لآخر صارت الشجرة للغارس والامر بالعكس اذا غرس شجرتهُ في ارض الغير ولكن بشرط ان تسري عروق الشجرة في الأَرض

(٣٢) البُرّ المزروع تبع الارض ( وكذا ما اشبههُ من القطاني كالفول والعدس )

(٣٣) الحروف المذهبة تتبع الورق او الرق

(٣٤) النسيج يتبع الصورة التي ترسم عليهِ

(٣٥) من اشترى بنيَّة سليمة او أَخذ بسبب آخر عادل أَرضاً من شخص لا يملكها فمن

---

(١) قال صاحب الدرّ المختار « من بنى او غرسَ في ارض غيرهِ بغير اذنهِ أُمِرَ بالقلع والردّ لو قيمة الساحة اكثر . وللمالك ان يضمن لهُ قيمة بناء او شجرٍ أُمِرَ بقلعهِ فتقوَّم بدونهما ومع احدهما مستحقّ القلع فيضمن الفضلَ »

وفي الحاشية لابن عابدين ما نصهُ « فان كانت قيمة الارض مائةً وقيمة الشجر المقلوع عشرة واجرة القلع درهم بقيت تسعة دراهم فالارض مع هذا الشجر تقوَّم بمائة وتسعة دراهم فيضمن المالك التسعة . ومن غصب ثوبًا فصبغهُ او سويقًا فلتهُ بسمن فالمالك مخير ان شاء ضمنهُ قيمة ثوبهِ ابيض ومثل السويق . وان شاء اخذ المصبوغ او الملتوت وغرم ما زاد الصبغ والسمن واذا تغيرت العين المغصوبة بفعل الغاصب حتى زال اسمها واعظم منافعها زال ملك المغصوب عنها وملكها الغاصب وضمن بدلها لمالكها »

المقرر ان الغلة لهُ بمقابلة الحرث والعناية . وأما من اشترى ارضًا وهو يعلم انها ليست للبائع فالغلة ليست لهُ

(٣٦) من لهُ استغلال ارض يصير مالكاً حاصلات الارض اذا استطاع ان يقبضها هو بنفسهِ وعلى هذا الحكم عينهِ يجري المساقي

(٣٧) حمل الحيوانات مندرج في الثمار الحاصلة لكن ولد الأَمة ليس بمندرج في ذلك

(٣٨) المستغل الذي لهُ قطيع جارٍ في استغلالهِ فكل رأسٍ يموت منهُ يجب ان يعوَّض عنهُ برأسٍ مما يولد من ذلك القطيع . واما الشجر والكرم فيجب عليهِ ان يعوّض عمّا يبس منها

(٣٩) ما يجد المرء في ارضهِ من كنزٍ فهو لهُ بحكم العاهل أدريان . وكذا الحكم اذا وُجد الكنز اتفاقًا في مكان وقفٍ او دينيّ . اما الكنوز الموجودة اتفاقًا في ارض الغير فنصفها لمالك الارض والنصف الآخر للواجد

(٤٠) تملك الاشياء ايضاً تبعًا للشرع الطبيعي بالتسلُّم

(٤١) الاشياء المبيعة والمسلمة يملكها المشتري متى اراد البائع

(٤٢) اما تسليم المبيع فلا فرق بين ان يكون من المالك نفسهِ وبين ان يكون برضاهُ على يد ثالث

(٤٣) قد تكفي ارادة المالك لانتقال الشيء عن ملكهِ بلا تسليم

(٤٤) من باع بضائع مودعةً في مخزن تصير ملك الشاري حين يسلم مفاتيح المخزن

(٤٥) كلما اراد المالك فلهُ ان يحوّل ملكهُ الى اي كان ولو غير معينٍ (١)

(٤٦) ينتج من ثَمَّ أَنَّ من قيد شيئاً قد تركهُ صاحبهُ صار للحال مالكهُ

(٢٧) انَّ ما تطرحهُ عند هبوب العاصفة خارج السفينة تخفيفًا يبقى على ملك أصحابهِ وهذا كما يظهر لا يختلف كثيرًا عن الاشياء التي تسقط من العجلة ماشية من دون علم أصحابها

## الفصل الثاني في الاعيان والحقوق

الاعيان ما يمكن لمسها كالعقار والعروض . واما الحقوق فليست كذلك وانما هي أُمورٌ معنوية كحقّ المرور وحقّ حبس الرهن (٢)

---

(١) في الفقه الاسلاميّ من القى مالهُ على الطريق وقال جعلتهُ لمن وصلت اليهِ يدهُ ملكهُ من وصلت اليهِ يدهُ

(٢) حقّ الشيء تبعٌ لهُ كالطريق والشرب (حاشية ابن عابدين)

## الفصل الثالث في عبودية التركة ( اي ما على التركة من الحقوق )

حقوق التركة العقارية هي الممرّ وهو حقّ المرور بالرجل ذهاباً واياباً من دون حيوانٍ ولاعجلةٍ . والطريق وهو حق المرور بدابة او عجلة والسبيل وهو حق السير والجولان والقناة ( الترعة والمسقة) وهو حق اجراء الماء في ارض الغير

( ١ ) الحقوق على التركة العقارية في المدن المتعلقة بالابنية . وهذه كالتزام الجار أن يحمل بناء جارهِ على بنائهِ . وكحق ادخال جائزٍ ( عرق ) في جدار الجار أو وضعهِ عليهِ . وكالتزام للجار ان ينصبَّ ماء سطحهِ او ميزابهِ في دارهِ او في ميزابهِ . وكحق أن يمنع كل احد عن ان يرفع بناءه ويضرّ بضوء جارهِ (١)

( ٢ ) في جملة الحقوق على التركات العقاريَّة اغتراف الماء وسقي القطعان من الموارد والرعي وعمل الجص واستخراج الرمل

(٣) لايتأتى لأحد ان يكون لهُ حقٌّ على تركة عقارية في المدينة او في الحقل ان لم يكن لهُ عقارٌ موروثٌ

(٤) من يرد ان يقرّر حقًّا لمنفعة جارهِ فعليهِ ان يقرّر ذلك الحق بوثائق وبشروط . ويصح ان يقرِرهُ بكتاب الوصية

## الفصل الرابع في الاستغلال

الاستغلال (٢) حق استعمال مال الغير والانتفاع بهِ مع المحافظة على عينهِ

(١) متى أُريد منفعة شخص من باب الاستغلال بدون وصية وجب ان يكتب في ذلك وثائق وشروط

(٢) ليس الاستغلال منحصرًا في الارض والبيوت بل يجري في العبيد والدواب وسائر الاشياء الاَّ ما يهلك بالاستعمال على ان مجلس الشيوخ قد حكم لاجل المنفعة ان تكون تلك الاشياء معدّة للاستغلال لكن بشرط ان يكون للوارث كفالة متينة . وانهُ عند موت المستغل او تغير حالتهِ يجوز لهذا الوارث ان يستوفي مبلغًا من المال يساوي اغلى قيمة لهذه الاشياء

(٣) ينتهي الاستغلال بموت المستغل وبتغير الحالة الكبير او المتوسط و باستعمال الشيء

---

(١) وفي الفقه الاسلاميّ لا يمنع احد من التصرف في ملكهِ ابدًا الاَّ اذا كان ضررهُ فاحشًا والضرر الفاحش كلُّ ما يمنع الحوائج الاصلية فهذا يدفع بأيِّ وجهٍ كان ( راجع حقّ المعاملات الجوارية في المجلة وغيرها )

(٢) اعلم ان الاستغلال يشبه الاجارة من حيث التمتع بالمنفعة مع بقاء العين على ملك صاحبها ومن حيث الانقضاء عند انتهاء مدةٍ محدودةٍ ويخالفها من وجوهٍ كما ترى ذلك بمقابلة البابين

في غير ما قصد بهِ . ويمضي اجل معين . ومتى تركهُ المستغل للمالك . ومتى هلك البناء بالحريق او سقط بالزلزلة او بوهن فيهِ

(٤) يزول الاستغلال بالمرّة عند ما يرجع الى الملك

## الفصل الخامس في الاستعمال والسكنى

ان الاسباب التي يتمُّ بها الاستغلال يتمُّ بها الاستعمال ايضاً . وهو يزول بالاسباب التي بها يزول الاستغلال

(١) ان حق الاستعمال أضعف من حق الاستغلال

(٢) من لهُ حق استعمال ارضٍ فيعتبر ان ليس لهُ منها الاَّ أخذ البقول والثمار والازهار والعلف والتبن والحطب سدًّا لحاجاتهِ اليومية . ولا يؤذن لهُ ان يقيم بهذه الارض الاَّ مدةً من الزمن لا يضايق فيها المالك ولا من يقومون بأعمال الحقول . وليس لهُ ان يؤجر ولا ان يبيع ولا أن يسمح بما لهُ مجانًا لاحد كائنًا من كان . وأما من لهُ حق الاستغلال فيجوز لهُ كل ذلك

(٣) من لهُ استعمال بيتٍ فليس لهُ الاَّ ان يسكنهُ هو نفسهُ . وغاية ما يسمح لهُ بهِ ان يقبل عندهُ ضيفاً (١)

(٤) من لهُ استعمال عبدٍ فلهُ وحدهُ ان ينتفع بعمل ذلك العبد وخدمتهِ وكذا الحكم فيما يتعلق باستعمال حيوانٍ

(٥) اذا أُوصي لشخصٍ باستعمال قطيع من الغنم او بعض خراف فللمستعمل ان يدمل حقلهُ ويسمدهُ من بعر القطيع

(٦) متى أُوصي بالسكنى لشخص او عينت لانتفاعهِ يظهر انها تجعل حقًّا معينًا خصوصيًا فنأذن نحن والحالة هذه في اجارة البيت لثالث حتى ولو كان الحق حق سكنى

(٧) قد ذكرنا على وجه الاختصار اسباب التملك بحسب شرع الأُمم فحان لنا ان نذكر اسباب التملك بحسب الشرع المدني

## الفصل السادس في التملك والاستحلال بمرور الزمان

انهُ بحسب قواعد الشرع المدني من يشتري بالنية السليمة شيئًا من غير مالكهِ معتقدًا انهُ ملكهُ او ممن كان قد تملكهُ بسبب آخر عادلٍ فيصير ذلك الشيء ملكاً لهُ ان كان منقولاً

---

(١) في الدرّ المختار « ليس الموصى لهُ بالخدمة او السكنى ان يؤجر العبد او الدار » عن باب الوصية بالخدمة والسكنى والثمن

بعد سنة في كل وجهٍ من البلاد وان غير منقول فبعد سنتين . لكن يشترط ان يكون الشيء المذكور في ارض ايطاليا وذلك حتى لا يبقى التملك لغير معين (١)

واما نحن فقد وضعنا حكمًا أوفق ولناعلى هذه المادة المذاعة رسميًّا قانون اساسيٌّ بمقتضاهُ لا يجوز تملك الاشياء المنقولة الاَّ بعد ثلاث سنين . والاشياء الثابتة الاَّ بمرور الزمان . فتملك الاشياء بهذا الوجه يكون مبنيًّا على تملك بسبب صحيح (٢)

(١) اذا امتلاك حرٍّ او وقف او شيءٍ دينيٍّ اوعبد آبقٍ فتملك هذه الاشياء لا يكون مقرَّرًا مهما مرَّ عليها من الزمان

(٢) الاشياء المسروقة والمغصوبة لا يصحُّ ان تمتلك بوضع اليد حتى ولو مضى عليها الزمان وحتى لو كان التصرُّف فيها بنية سليمة (٣)

(٣) اما تلك الاشياء فلا يملكها اللص ولا الغاصب ولايصحُّ تملكها لشخص آخر بخلاف ذلك( )

(٥و٦و٧) اذا وضع شخص يدهُ على موضع خالٍ بدون غصب امتلكهُ هو نفسهُ بنيَّةٍ سليمة . مع ذلك اذا تحول هذا الملك الى آخر وقبلهُ بنيّةٍ سليمة فلهذا الآخر ان يمتلكهُ بمرور الزمان

(٨) الشيء المسروق والمغصوب قابل لان يتملك اذا ردَّ الى صاحبهِ

(٩) املاك الدولة غير قابلة للتملك بوضع اليد

(١٠) من المعلوم انهُ يجب ان يكون الشيء خاليًا من العيب حتى يكون قابلاً لأَن يتملكهُ المشتري بنيَّةٍ او المتصرف فيهِ بايما وجه آخر عادل

(١١) الخطأ المبنيُّ على سبب باطلٍ لايحصل عنهُ التملك بوضع اليد

(١٢) وضع اليد زمانًا اذا كان قد ابتديء بفائدة للمتوفى يستمر لوارثهِ وللمتصرف في الأَملاك حتى ولوعلم أن تركة المتوفى ملك غيرهِ لامالكهُ

(١٣) في قانون زينون تحوَّط لمن تملكهم الدولة شيئًا فكانوا يملكونهُ للحال باطمئنان

---

(١) نقل عن بعض الحنفية ان الحرام لا يتعدَّى ذمتين غير ان هذا محمول على ما اذا لم يعلم بذلك اما لورأَى المكاس ياخذ من احد شيئًا من المكس ثم يعطيهِ آخر ثم ياخذهُ من ذلك الآخر آخر فهو حرام (الدرّ المختار) (٢) المراد انهُ لا تسمع الدعوى عليهِ من رجل آخر (٣) هذا تفريق بين ما يقع بالمبادلة المالية و بين ما لا يقع بها كما هنا (٤) وذلك كما لوكان المال بيد السارق ولم يعلم مالكهُ فباعهُ الحاكم ملكهُ المشتري كما في الفقه الاسلاميّ

ضمير ويخرجون في كل المحاكمات غالبين سواءٌ كانوا مدَّعين او مدعى عليهم · ومع ذلك يؤذن للمدعين ان يقيموا

## الفصل السابع في الهبة

الهبة نوعان هبةٌ بسبب الموت · وهبةٌ بدونهِ

(١) الهبة بسبب الموت اي التي تصدر عن الوارث متصورًا الموت · هي اعطاءُ شيء لآخر بنيَّة ان يترك لهُ اذا توفي المعطي . وبنية ان يستردهُ اذا نجا من خطر الموت او اراد الرجوع عن هبتهِ او توفي الموهوب لهُ . اعلم ان مايقع من الهبات بسبب الموت مشابه للوصيَّة كل المشابهة

(٢) الهبات غير المتسببة عن تصوُّر الموت هي الهبات بين الاحياء وهي تتم متى صرح الوارث بارادتهِ · وفي بعض قوانيننا الاساسيَّة انها تتم بالقبض . (١) ان شروط القوانين القديمة تقتضي ان يدخل في الصكوك العمومية للهبات بين الاحياء مايزيد على مائتي صوليد (٢) وأما قانوننا فقد اصعد هذه الكميَّة الى خمسمائة صوليد

من المعلوم انهُ اذا وجد أُناس ينكرون جميل الواهب فقد سوَّغنا لهُ لأَسباب صحيحة ان يرجع في الهبة (٣)

(٣) انَّ للهبة بين الاحياء نوعًا آخر يقال لهُ " السابق الزواج " ومن شروطهِ أَنهُ لايتم الا بعقد الزواج · أَما نحن فقد حكمنا أَنهُ كما ان المَهْر يصح ان يزاد وان يعين وقت انعقاد الزواج حكمنا ايضًا ان هذه الانواع من الهبات يصح ان تقع او ان يضاف اليها زيادة قبل الزواج اوعند الزواج

## الفصل الثامن فيمن لهُ حق البيع وفيمن ليس لهُ

من ذوي الاملاك من لايحقُّ لهم ان يبيعوها · · ومنهم من يحق لهم ذلك بحسب شريعة جوليا

ليس للزوج ان يبيع بلا رضا امرأَتهِ الأَرض التي أُخذت مَهْرًا ولو كان الزوج مالكاً

---

(١) وفي القواعد الكلية «لا يتمُّ التبرُّع الاَّ بالقبض» فاذا وهب احدٌ شيئًا لآخر لا تتمُّ الهبة قبل القبض

(٢) الصوليد نقدٌ من النقود الرومانية يساوي ١٢ دينارًا رومانيًا

(٣) في الفقه الاسلاميّ للواهب الرجوع في الهبة ولكنهُ مكروهٌ قال النبيّ العائد في هبتهِ كالعائد في قيئهِ · ويمنع من الرجوع فيها خمسة امور خروج الهبة عن ملك الموهوب لهُ · وموت احد المتعاقدين · وزيادة متصلة واخذ الواهب عوضاً عنها · وكون الموهوب لهُ ذا رحم محرم منهُ نسباً كما في كتب الفقه كافةً

تلك الارض المعطاة مهرًا . واما نحن فقد عززنا هذهِ القاعدة وحكمنا بأَن بيع الأَرض المأخوذة مَهْرًا باطل ولو برضاءِ الزوجات وكذلك رهنها

(١) اما الغريم الدائن فبالعكس فمتى وجد عهد جاز لهُ بيع الرهن ولو لم يكن في ملكهِ (١)

(٢) ليعلم ان القاصر والقاصرة لايجوز لهما أَن يبيعا شيئًا من دون اذن الوصي

## الفصل التاسع في الاشخاص الذين يكسب بهم المرءُ لنفسهِ

أَن تكسب لنفسك بذاتك . وبمن هو تحت ولايتك . وبالعبيد الذين لك أَخذ كَسبهم وبالأَحرار وبعبيد الغير الذين ملكتهم بنية سليمة

(١) انَّ ما يكسبهُ الأَولاد بشيءِ الاب فهو لهُ برمتهِ . واما ما يكسبهُ ابن البيت لأَجلهِ بسائر الوجوه الأُخر فللأَب الانتفاع بغلتهِ وللابن ملك عينهِ

(٢) قد قرَّرنا انهُ في مقابلة التحرير يحبس الاب من الاملاك على الابن نصف حق الاستغلال عوضاً من ثلث الملك

(٣) انت تكسب كل ما يقبضهُ عبدك بالتسلم او بايّ سبب كان . واذا أُقيم عبدك وارثًا فليس لهُ ان يستلم الميراث ما لم تأذن لهُ انت في ذلك

(٤) أَما العبيد الذين لك عليهم حقُّ الاستغلال فيرضينا ان نحكم ان كل ما يكسبونهُ بشيئك او باشغالهم فهو مكسوب لك وان بسائر الوجوه لصاحب الملك وهذا ايضاً حكم كل ما تتصرف فيهِ بنية سليمة

(٥) ينتج مما قلناهُ ان المرءَ لا يكسب شيئًا بشخص اجنبي مع ذلك قد تقرَّر ان لك ان تكسب علمت او لم تعلم بواسطة الاحرار تصرُّفًا وبهذا التصرُّف تملكاً او تسلطاً

## الفصل العاشر في صور كتاب الوصية

انما قيل لهُ كتاب الوصية لأَنهُ شهادة الارادة

(١ و ٢ و ٣) قد أُمر أَنَّ كتاب الوصية يكتب في جلسة واحدة بحضرة سبعة شهود وان يكتب هؤُلاء الشهود فيهِ توقيعهم ويختموه بخواتمهم

(٤) قد ضُمَّ الى هذا القانون وجوب كتابة اسم الوارث

(٥) للشهود كلهم ان يختموا كتاب الوصية بخاتم واحدٍ

---

(١) في الفقه الاسلامي لا يباع الرهن الا بتراضي الراهن والمرتهن . ولكن اذا وكل الراهن المرتهن او غيرهُ لبيع الرهن عند حلول الدين فالوكالة جائزة لأَن الرجل وكل ببيع مالهِ . فان شرطت في هذا الرهن فليس للراهن عزلهُ لها فان عزلهُ لم ينعزل وكذا ان مات الراهن لم ينعزل

(٦) يصحُّ ان يستشهد في كتاب الوصية لكن لا يصحّ استشهاد المرأة ولا القاصر ولا العبد ولا المجنون ولا الاخرس ولا الاطرش ولا المحجور ولا من نصَّت الشريعة على عدم أَهليتهم للايصاء

(٧ و ٨) اذا كان ابٌ أَو أَخوان تحت سلطةٍ واحدةٍ يصحُّ اقامتهم شهودًا في وصيةٍ واحدةٍ

لا يجوز ان يُنظم في عداد الشهود من هو تحت ولاية الموصي

(١٠) ولا الوارث المسجَّل اسمهُ ولا من هو تحت ولايتهِ ولا أَبو من هو تحت ولايتهِ ولا الاخوة الذين هم تحت ولاية هذا الاب . فهؤُلاءِ كلهم لا يصحُّ استشهادهم

(١١) اما الموصي لهم والمستودعون فبما انهم ليسو ورَّاث الحق وكذلك المتصلون بهم بالقرابة فنأذن في استشهادهم في كتاب الوصية

(١٢) لا فرق ان تكتب الوصية على صفائح او على الورق او على الرقِّ او على مادة أُخرى مما يمكن ان يكتب عليهِ

(١٣) يصحُّ ان يكتب للوصية الواحدة عدة نسخ

(١٤) من اراد ان يوصي بلا كتابة كتاب بحسب قواعد الشرع المدني فعليهِ ان يجمع سبعة شهود (١) ويصرح في حضرتهم بارادتهِ فيكون بهذه الوسيلة قد اطمأَنَّ انهُ اوصى وصيةً شرعيةً

## الفصل الحادي عشر في وصايا الجنود

ان رسوم الايصاء التي يجب مراعاتها يعفى منها الجنود وهم في الغزو حيث تعتبر وصيتهم شرعية بايما صورةٍ صرَّحوا بارادتهم الاخيرة

(١) مع ذلك لا يعدُّ كتاب وصية الجندي شرعيًّا ما لم يثبت قبل ان الوصية قد وقعت

(٢) يحقُّ للجندي الاخرس والاصم أَن يوصيا

(٣) لايجوز للجندي ذلك الاَّ اذا كان في الخدمة او في المعسكر

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

---

(١) نصاب الشهادة على الوصية في الفقه الاسلاميّ كنصابها في سائر الحقوق فتقبل فيها شهادة رجلين او رجل وامرأَتين

# جبل المصايب

(المقتطف) من غريب الاتفاق انهُ وصل الينا في العام الماضي مقالتان في موضوع واحد الواحدة من سوهاج وتاريخ ارسالها الينا غرة ابريل والثانية من لبنان وتاريخ ارسالها الينا ١١ نوفمبر. والمقالتان متفقتان في موضوعهما مختلفتان في اسلوب البحث فيهِ الاولى مترجمة ترجمة والثانية مبنيَّة على الاساس الذي بنيت عليهِ المقالة الاولى وها نحن نوردهما معًا لما فيهما من الفائدة والفكاهة

## (١) جبل المصايب

قرأت منذ ايام مقالة لاديصن الكاتب الشهير تحت عنوان جبل المصايب فآثرت تعريبها وارسالها الى مجلتكم الفيحاء لتدرج فيها وهي :

قول لسقراط مشهور وهو "اذا جمعت مصايب الناس الى مكان واحد لكي تقسم عليهم بالتساوي فالذين يعدون انفسهم اشد الناس شقاء واكثرهم نكدًا يفضلون نصيبهم الاول على ما ينالهم بهذه القسمة" وذهب هوراس الى ما هو ابعد من ذلك فقال "ان الآلام والمصايب التي ننوء تحتها اخف علينا مما لو ابدلناها بمتاعب غيرنا اذا امكن الابدال"

بينما كنت ملقًى على كرسي اتأمل ما حوت هاتان العبارتان من بديع المعنى وجميل المبنى ران جفني الكرى فرأيت جوبتر ينادي الناس قائلا تعالوا يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال واطرحوا اثقالكم في هذا المنبسط الفسيح الذي اعد لذلك . فوفد الناس زرافات ووحدانًا بعضهم وراء بعض وطرحوا اثقالهم حتى تكوَّنت اكمة من المصايب كادت تناطح السحاب ثم ظهر شبح امرأَة عليها سيمة الاهتمام بهذا الاحتفال في احدى يديها مرآة معظمة وهي مرتدية ثوبًا واسعًا رسمت عليهِ اشكال المردة والشياطين . وكلما هزت الريح هدب ثوبها تناثرت منهُ ازياء مختلفة كانهُ خيال الظل يمثل جيشًا من الناس يترامون من كل فج سحيق . وكانت هذه المرأَة واسمها الاهة الوهم ترسل نظرات حادَّة متقلبة كأَن بها مسًّا او خبالاً . ثم جعلت تقود الناس الى الموضع المعين لطرح الاحمال والرزايا وهي تساعدهم على حملها بجد ونشاط . وما طرح الناس مصايبهم عن كواهلهم حتى ذابت احشائي لما رأيت مقدارها الهائل

رأيت رجلاً يحمل صرةً وهو يخبئها تحت ثوب عتيق حتى اذا وصل الى الساحة رمى بها فاذا هي الفقر . ورأيت آخر يمشي وهو يحمل شيئًا ثقيلاً رمى بهِ وسار فنظرت اليهِ واذا هو امرأَتهُ

ورأيت قتلى الحب وأسرى الغرام يسيرون الهوينا ونار الهوى تتأجج في افئدتهم ودموع الشكوى تنحدر على وجناتهم فتزيد نيرانهم اشتعالاً ولما وصلوا الى جبل المصايب تنهدوا وفاضت دموعهم وصغرت نفوسهم لكن لم تسمح خواطرهم بطرح اسباب محنتهم بل هزوا رؤوسهم وعادوا ادراجهم يحملون احمالهم كما جاءوا بها مفضلين الالم المقيم على ترك الحبيب

ورأيت جمعًا من العجائز رمين غضون الوجه وسمرة الجلد · ورأيت كومة كبيرة من الانوف الحمراء والشفاه الضخمة والاسنان السوداء ودهشت لان اكثر ما كنت اراهُ من عيوب الخلقة· ثم رأيت رجلاً يسير الهوينا وعلى ظهرهِ حمل اثقلهُ فرماهُ عنهُ وعاد جزلاً مسرورًا فنظرت واذا ما رماهُ حدبة كانت في ظهرهِ

ورأيت اشكالاً متنوعة من سوء الخلق ورداءة الطباع تفوق الحصر والعد · ومما يستوقف النظر بينها ويزيد الاسي ان داء الحقد والضغينة كان اعم من كل شيء سواهُ

هنا يقف القارئ مدهوشًا اذا قلت لهُ اني لم اجد رذيلة واحدة طرحها صاحبها عنهُ ولا جهالة من الجهالات الكثيرة · وقد زادت دهشتي وعظم استغرابي لان الوقت كان وقت التخلص من الرذائل والمفاسد ومع ذلك لم يلتفت احد الى طرحها عنهُ

ومما يدل على ان الاحمق عبد لشهواتهِ اني رأيت فتىً حاملاً ديونهُ فلم يطرحها عنهُ بل طرح خسائرهُ وآخر طرح ادبهُ بدل جهالتهِ

ولما اتمَّ الناس طرح اثقالهم التفتت المرأة اليَّ ورأتني متكاسلاً عن الدنو من الساحة فاقتربت مني ووضعت مرآتها المعظمة امام عيني وأرتني وجهي فيها وقد تحوَّل الى وجه قزم ازعجني مرآهُ وثقل عليَّ قبحهُ · ولاختلال التناسب في تقاطيعهِ ساء خلقي وقبحت ملامحي فحسرتهُ عني كمن حسر نقابًا واتفق ان انسانًا كان واقفًا الى جانبي لهُ وجه طويل تكاد ذقنهُ تفوق وجهي كلهُ فلما رآني طرحت وجهي عني التقطهُ ولبسهُ بدلاً من وجههِ فلبست وجههُ بدلاً منهُ

ورأيت الناس وقفوا حول جبل المصايب وقد خلا كل منهم من مصايبهِ وجعلوا ينظرون الى مافيهِ ويتمنى كل واحد منهم ان ينال شيئًا منها

ومرَّ جوبتر عليهم وهم محدقون الى تلك المصايب واباح لهم ان ينتقي كلٌّ منهم ما يحلو في عينيهِ منها وجعلت الاهة الوهم تهتم بمساعدتهم على انتخاب ما يريدونهُ وتحمّل كلاً منهم حملهُ الجديد فرأيت شيخًا وقورًا كلَّل الشيب ناصيتهُ طرح عنهُ صفرة وجههِ وجعل يطلب بدلاً منها وريثًا يرث املاكهُ المترامية الاطراف ورأى ابًا غاضبًا رمى ابنهُ ليتخلص منهُ فبادر اليهِ والتقطهُ حاسبًا انهُ اصاب مغنمًا · وما سار الابن العقوق مع هذا الشيخ البار قيد باع حتى

امسك بلحيتهِ وجعل يلطمهُ فصرخ الرجل مستغيثاً بابي الفتى، لكي يعيد اليهِ صفرتهُ ويأخذ ابنهُ

رأيت زنجيًا طرح عنهُ قيود العبودية واستبدلها بداءِ النقرس فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار · واموراً اخرى كثيرة من هذا القبيل فمن رجل استبدل مرضاً بفقر او سوء الهضم بالجوع او الالم بالهم ونحو ذلك مما يطول شرحهُ

وكان النساءُ يتقايضن اشياءهنَّ فواحدة تطرح عنها شعرًا بزغ فيهِ فجر المشيب وتستبدلهُ ببزة حقيرة واخرى تستبدل كتفاً مستديرة بخصر قصير وثالثة تبدل صيتاً قبيحاً بوجه مشوه ولكن لم أرَ واحدة ابدلت عيباً بعيب اقل منهُ قبحاً

ولقد اخذتني الشفقة على الرجل الاحدب الذي اختار وجهاً صبوحاً بدل حدبتهِ فان الوجه الصبوح كان مصحوباً بحصاة في المثانة · وعطفت على الرجل الذي ساومهُ هذه المقايضة وخرج يتسكع وكفاهُ فوق رأسهِ والنساءُ ينظرن اليهِ ويضحكن عليهِ

اما انا فان صاحبي ذا الوجه الطويل الذي اخذ وجهي القصير ظهر فيهِ بشكل مضحك فكنت اضحك حتى افحص الارض برجليَّ كلما نظرت اليهِ ولما رآني كذلك تولاَّهُ الخجل · ومددت يدي لالمس وجهي فلمست شفتي العليا ولطمتْ يدي انفي اكثر من مرتين وانا اجيلها على وجهي فعلمت انني زدت قبحاً على قبح

والخلاصة انهُ ما تفرَّق جبل المصايب على اولئك الناس حتى سمعت التذمر والبكاءَ والعويل من كل الناس ورايتهم يفضلون العود الى حالتهم الاولى فتحنن عليهم جوبتر وسمح لهم ان يطرحوا ما اخذوهُ ويستردوا ما طرحوهُ فابرقت اسرتهم واختفت الاهة الوهم وظهرت الاهة اخرى تلوح على وجهها سيماءُ السكينة والهدو وهي الاهة الصبر ولما ظهرت القت نظرها على تلك المصايب المشتعلة فبدأ لهبها يخمد وثورتها تسكن فطيبت القلوب المنكسرة واعادت الى الناس مصايبهم الاولى وعلمتهم احتمالها فرضخ كل انسان لحكمها وحمل حملهُ شاكرًا · انتهى باختصار قليل

جبره تاوضوروس

## (٢) جبل التعاسات

ان من ظنون سقراط المأثورة والمشهورة " ان لو جمعتْ كل تعاسات بني آدم الى مستودعٍ عمومي ريثما يصير توزيعها على الناس على اختلاف طبقاتهم لظهر حينئذٍ ان من ظنوا انفسهم اشقى ابناء جنسهم يختارون البقاءَ على ما قسم لهم من البؤس عند ما يرون ما يصيبهم منهُ لدى التوزيع "

وقد توسع هوراس في ذلك وقال ” ان ما نكابدهُ من المصايب نراهُ اخف حملاً مما يكابدهُ الغير لو عرضت علينا المقايضة فيها “

بينما كنت اتأمل فيما قالهُ هذان الفيلسوفان وانا جالس على كرسي ومتكئ على احد مساندهِ رانت على جفوني سنة الكرى فحلمت اني واقف في حضرة جبار السموات تطوف بهِ الاملاك ملائكة وملكات ثم رأيت ماردًا طول احد المذنبات ينفخ في بوقٍ يهز صوتهُ الارضين وعلى يمينهِ غانية لايتصور العقل اجمل منها طلعة لكن على جبينها من الاسرَّة والغضون مادلَّ على انها كافحت في عمرها نوب الايام تعبس في وجههِ حينًا وتبسم لي احيانًا. فتقدمت خطوة اليها اريد الاستفهام عن مغزى ما ارى فقالت قبل ان افوه بكلمة لا تسأل ان المقام رهيب عليك بالصمت لكن لك عليَّ ان ادلك على ما تريد الوقوف عليهِ وانا اسمي الصبر ثم اشارت الى المارد وقالت لهُ اذا كان لابد فانفخ بصورك وادعُ البشر قاطبةً رجالاً ونساء من ابن خمسة عشر حولاً الى ما ينتهي اليهِ عمر الانسان الى بطحاء امتدت امامي كلمح البصر خلتها تسع الارض وما عليها ادعُهم لكي يأتي كل منهم حاملاً مصيبتهُ وما يشكو منهُ ويلقي بما حمل في وسط تلك البطحاء فلما صدع بامرها لم ارَ الاَّ وقد ثار الغبار وانتشر العفار في مسالك الارض وطرقاتها وبين شعاب الجبال وفجاجها من وطء اقدام المدعوين ولفظ البحر ما على ظهرهِ من فلك ملأى بالملاحين حتى خلت إطباق الحشر ورحت اصوب الطرف واصعدهُ لارى اين ينصب الميزان فاذا بكل قادم الى وسط تلك البطحاء التي بحمل مصابهِ او عاهتهِ او نكبتهِ بعضها بشكل حزمة والبعض بهيئة كتلة منها كبير يتمعج او طويل يتلوى ومنها ما كاد حاملهُ يرزح من ثقلهِ او هو صغير لا يتجاوز حجمهُ قبضة اليد. ورأيت بينها فقاقيع كأنها لا تحوي غير هواءٍ سارحٍ الى غير ذلك من ضروب الاحمال حتى اصبح المستودع جبلاً شاهقًا حلقت قمتهُ عنان السماء. فلبثت انتظر ما سيكون واذا الحجاب انشق في طرفٍ من السماء وبرزت منهُ عجوز حيزبون تتوكأ على افعوان ارقش ويتدلى على صدرها قلادة من العقارب وعليها مرط او غلالة مطرزة بصور عاهات الناس وبلاياهم لكن في وسط كل صورة من هذه الصور نقطة برَّاقة تنبئ عن وجود رسيس الامل بالنجاة او بالشفاء. فاجفلت لرؤياها وقلت لربة الصبر الواقفة على كثبٍ مني ومن تكون هذي فاشارت رمزًا وايماءً الى انها ربة الرزايا وطاغية الناس الكبرى حتى اذا ما وصلت الى سفح جبل التعاسات المتكون منذ لحظة من مصائب الناس وقفت وحولها اعوان وجلاوزة بينهم مندوب رفيع الشأن ينوب عن الجبار الاعلى. ثم نفخ المبوق فجاء الناس اليها شيوخًا وكهولاً وشبانًا وصبيةً ذكورًا واناثًا زوجًا زوجًا لحاقًا تباعًا بعضهم وراء

بعض دون ازدحام او تشويش لا كما فعلوا عند القائهم مصايبهم في المستودع العمومي اذ جعلوهُ لشدة لهفتهم وعجلتهم طوداً شاهقاً مشوش الهندام وغير مستوي الاطراف. فاطاع الناس الامر ومشوا كما امرت ربة الرزايا الى ان بلغ الزوج الاول موقفها فاخذت تسأل الواحد ثم تسأل الآخر عما احتوتهُ وديعتاهما اللتان القياهما في المستودع المسمى بجبل التعاسات فيقول الواحد مصيبتي داء عقام صاحبني العمر وما عرفت لهُ دواء ويقول الآخر بليت وانا يافع بالفقر المدقع مفترشي الارض ابيت كل ليلة طاوي الحشى. فتقول ربة الرزايا وهل لكما في مقايضة هذي الاحن فيقولان ذلك ما نبغي فتشهد اذ ذاك عليهما مندوب الجبار الاعلى ومن احاط بها من الجلاوذة وتصرفهما وكل منهما لابس رزية الاخر. ثم يؤتى اليها بالزوج التابع فتسألهُ كما سألت من تقدم فيقول الواحد العقم في الذرية والآخر كثرة الاولاد فتصرفهما وقد تبادلا ما يشكوان منهُ. ثم يصل الزوج التالي فيشكو الواحد من حدبة على ظهرهِ والآخر من اتب على صدرهِ فيذهبان بالحدبة موضع الاتب وبالاتب موضع الحدبة ثم يؤتى بالزوج اللاحق فيقول الواحد شكايتي من زوجة غيور ويقول الثاني من زوجة سكرى فيذهبان كما ذهب السابقون كل يحمل زوجة الآخر ثم يجيء بالتابع فيقول الواحد مصيبتي ولد عقوق ويشكو الآخر حرمانهُ من الاولاد فينصرفان وقد حل الواحد محل الآخر وهلمَّ جرًّا زوجاً زوجاً من اصحاب المصائب والشكايات الذين لم استطع تعدادهم وقد رأيت بينهم كثيرين من اصحاب المناصب العالية يتقايضون الشكايات من اخس الصعاليك

حتى اذا اتمت ربة الرزايا توزيع ما اودع على جبل التعاسات بطريقة المقايضة بين المبتلين الشاكين وتمهد الجبل كانهُ لم يكن وهمت مع رهطها بالانصراف ارتفع من جانب ساكني الارض جلبة نوح وعويل كادت توقظني من حلمي او تقيم الاموات من قبورها فامسكت ربة الرزايا مع رهطها عن المسير وسألت من المارد المبوق عن سبب الانين والصيحات المزعجات فقال ان المتقايضين ندموا على ما فعلوا ويريدون الرجوع عن المبادلة ويطلبون العودة الى العاهات والرزايا والمصايب والبلاوى التي كانوا عليها فقالت نادهم بصورك ان يجيئوا الينا كما ذهبوا ازواجاً كي نستقصي منهم عن اسباب النكول فنفخ المارد وما عتمت حتى رأت اقبال الناس لكن على خلاف ما كانوا عليهِ من الرضى والاستبشار يوم جاءوا باحمالهم الى جبل التعاسات وظنوا ان التوزيع والمقايضة بالمصائب خير لهم من البقاء عليها. فلما وصل الزوج الاول وحظي بالمثول لدى ربة الرزايا سألت احدهما وكان قد آثر الفقر المدقع على الداء العقام وقالت ما سبب ندمك على ما اخترتهُ امامي برضاك فقال مولاتي لم اعلم اني

خلقتُ أُلوفًا لو رجعتُ الى الصبا     لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

فلا خفى عن علومك ان المصاحبة الطويلة الامد ولو مصاحبة داء السرسام لقد توسع في صدر الانسان محلاًّ للالفة عليهِ فشفائي منهُ وانغماسي بالفاقة والاملاق صفقة واحدة ودن تمهيد او تعويد حملاني على انكار البدل والبديل هذا وقد كان لي من دائي شاغلاً الهو بهِ عن غيرهِ من كوارث الحياة لاني

الفت السقم حتى صار جسمي     اذا فقد الضنى امسى عليلا

وكان لي كما تعلمين رسيس امل بالشفاء منهُ فلهذا اطلب اليك لطفًا وكرمًا اعادة دائي اليَّ بلا تريثٍ او امهال . فادارت وجهها ثم سألت الآخر وهو الذي رضي بالداء العقام بدلاً من فقرهِ المدقع وقالت لهُ ما الذي حملك على النكول فقال وان كنت فيما مرَّ من عمري معدمًا من كل ملاذ الراحة في الحياة مطرودًا من الناس معذبًا برؤية ما لا استطيع الوصول الى اقل شيءٍ منهُ انام طاوي الحشى ينهشني الجوع ويلفحني الحر او يهرأُني البرد ولافراش لي غير السماء الاَّ انهُ كان لي عزاءٌ واحدٌ لم اجدهُ في الداء العقام الذي اعطيتهُ وذلك اني كنت استبيح ما يستبيحهُ المترف اترفه وكنت اعلل النفس بالعثور يومًا على كنز مخبوءٍ ينهض بي الى رتبة المنعمين فلهذا ارجو منك ارجاعي الى فقري مهما كان شديدًا . فادارت الحاظها قائلة لقد سجلت مقايضتكما ولا يمكن الغاؤُها فاذهبا عني فذهبا يعولان بالبكاء

ثم جيءَ اليها بزوج آخر فسألت احدهما وكان قد اختار كثرة الاولاد على ما كان لهُ من العقم فقال كان همي ونكد عيشي من العقم لعلمي باني لا اخلف من يبقي لي ذكرًا بين الناس وكنت وانا فيهِ لا ابالي ولا احفل بمال اكسبهُ لعلمي انهُ لا يكون موروثًا بعدي لولد من لحمي ودمي فلما استبدلتهُ وولدت ما شاء القدر من الاولاد وكنت كما لا يخفاك غير معتاد تربيتهم لقضائي معظم العمر محرومًا منهم الفيتُ السهر عليهم وتمريضهم والتوجع لاوجاعهم اشد ما ينكب بهِ الانسان في هذه الحياة ثم عرفت ان ما كنت اؤمل اذخارهُ ليكون ميراثًا لولدٍ من دمي اصبح من المستحيل الحصول عليهِ او الاحتفاظ بهِ لان ما اتكلفهُ من النفقة عليهم يستغرق كل ما ملكت او املك حتى صرت على وشك الهبوط واياهم في هاوية العوز فنصير عالةً على المجتمع الانساني فما كان اجدر بي يا ربة الرزايا لو بقيت باقي العمر عقيماً آكل مريًّا واشرب هنيًّا واورث وانا في قيد الحياة من احب من الناس او اقوم بعمل خيري يخلد لي ذكرًا جميلاً . ثم سألت الآخر وقالت الست انت الذي اخترت العقم على كثرة الاولاد فما الداعي لرجوعك عنهُ الآن فقال لاني وجدتني بعد العناء بولادتهم وتربيتهم موحشًا منهم وطريدًا بعدهم في سبسب الحياة

وان ما انكرتهُ زمنًا من هموم العناية بهم وما تحملتهُ من صلفهم ونزغات نفوسهم وما تجشمتهُ من النصب في اعالتهم صرت اراهُ الآن نعمة ذهبت بالنسبة لما اورثنيهِ الخلو منهم من الكآبة والحزن لاني صرت ارى نفسي كأَني في قفرٍ لا المع فيهِ اقل سراب املٍ يعللني بان اجد عند موتي من يغمض لي عيناً أَو يذرف على قبري دمعة . نعم ربما تقولين يا ربة الرزايا وما انتفاعك بعد الموت من ذلك اقول ان الوهم ما برح منذ الازل سائدًا على عقول الناس ولعلك انتِ نفسك تستمدين معظم سلطانكِ منهُ . فقالت لهما كما قالت لمن تقدم ان الرجوع عما قبلتما بهِ غير ممكن فذهبا يبكيان . ثم جيء اليها بالزوج التالي وكان احدهما قد اختار الاتب على الحدبة فقال طننت الاتب اخف حملاً فاذا بهِ اثقل على صدري يمنعني بروزهُ من رؤية ما تحتهُ من جسمي ومن رؤية ما امامي على الارض فان بصقت فعليهِ واذا عانقت فجبل حائل بيني وبين المعانق واذا اضطجعت فعلى صدري هضبة لا نبت فيها . حالةٌ لا استطيع معها الحياة . فالتفتت الى الاخر الذي اختار الحدب على الاتب فقال من الجنون ان يضع الانسان على ظهرهِ جبلاً يرزح تحتهُ ابد العمر لا يتمكن معهُ من رؤية ما فوقهُ ويبقى محرومًا من رؤية السماء وبهجتها ومن رؤية من يقابلهُ او يخاطبهُ ان مشى فمشي سلحفاة وان جلس فجلوس ارنب فارحمي حالي يا ربة الرزايا واقيلي عثرتي وردي اليَّ اتبي فقالت كما قالت لمن سبق لا مردَّ لما مضى

ثم أُتي الى حضرتها باثنين كان احدهما قد اختار الزوجة المدمنة الخمر على الزوجة الغيور فابتدرتهُ ربة الرزايا بقولها اني أراك شاحب اللون وفي وجهك اثر الخدوش قال نعم لاني فضَّلت مدمنة الخمر على الغيرى . قالت صف لنا حالك قال برحنا جبل التعاسات ومعي زوجتي الجديدة فسارت معي كانها خارجة من حانة لهو وطرب فقلت لها اقلّي الغناء والعربدة في الطريق فقالت ومن اقامك عليَّ رقيباً . وما دخلت داري حتى شرعتْ تفتش عن القناني والاكواب وتقول بئس الدار ان لم تحوِ ما يقصي الترح ويجلب الفرح ثم رفست اناءً بديع الصنعة غالي الثمن لانها لم ترَ فيهِ خمرًا فسحقتهُ وخرجت ثم عادت وفي يدها قارورة ملئها سلافة من عهد نوح اشترتها بنصف ثمن الدار . فقلت لها ارحمي فقري فاني لا املك غيرها فقالت وهل يغني السكن عن هناء الساكن ألا تعلم يا نذل الرجال ان السكر خير من الصحو في هذه الحياة . ولما انتهرتها على العربدة تناولتني بكفها وها اثر اظافرها في وجهي وعنقي فصبرتُ لعل الموت يريحني منها او يريحها مني . ثم قتلت ابنها الوحيد وهي سكرى فعيل صبري وخرجتُ اهيم على وجهي حتى اذا سمعت المصوت يدعو الناس هرولت اليكِ لكي تردي عليَّ زوجتي الاولى اذا كان لابد من زوجة

وجيءَ بالرجل الآخر فلما مثل في حضرة ربة الرزايا اخذ يلتفت يمنةً ويسرة خائفًا مذعورًا لئلا تكون زوجتهُ الجديدة آتية في اثرهِ . ولما هدأَ روعهُ قال اليكِ يا مفرقة الرزايا اشكو من زوجة غيور ظننتها اخفَّ وطأَة عليَّ من زوجة سكيرة مسرفة فاذا هي اشد نكاية لان الاولى لم يكن سكرها متصلاً فكنت استريح في الفترات اما هذه فلا تغفل عينها عني لحظة لا نهارًا ولا ليلاً حتى اذا اردت المنام قالت لي حذار ان ترحِّب بالخيال الزائر. ولا اذكر اني افقت مرةً من الرقاد الاَّ قابلتني بوجه عبوس واحداق مزورة وهي تقول هل انست بطيف ياخائن ولا تزال تسبني وتشتمني الى ان اتم لبس ثيابي ولا ادري كيف البسها القميص على الرأْس والحزام على الساق حتى اذا خرجت من الحجرة ارسلت ورائي من يتجسس امري او اقتفت خطواتي بنفسها وكثيرًا ما تتنكَّر وتتبعني بازياءٍ مختلفة واذا رأَتني منفردًا قالت لي بمن تفكر الآن يا شيطان واذا رأَتني مع قوم اشركتهم معي في السِّباب حتى اضطررتُ ان اغاضب صحبي واهل عشيرتي . وقلت لها مرةً قولي لي بربك اعن حبٍّ بي ما اراهُ من غيرتكِ . قالت كيف لا . قلت المحب يرضى لحبيبهِ ما يرضيهِ واراكِ على خلاف ذلك في اعمالكِ لانها تسوْءُني وتحرمني لذيذ العيش قالت ان ذلك لا يهمني ما دام فيهِ رضائي . قلت اذًا غيرتكِ ناشئة عن حب لذاتكِ لا عن حب لزوجكِ كما تدَّعين . فقالت ظنَّ ما شئت واعلم اني واكثر النساء لا نطيق ان يمازج حب ازواجنا لنا شيءٌ يلهيهم عن عبادتنا وليس لهم ان يطالبونا بحب لا يكون مدارهُ ومرجعهُ حب انفسنا . وعلمت حينئذٍ ان قيد الاسر مشدود على عنقي فجئتُ استجير بكِ ياربة الرزايا من ظالمة لا يعرف ظلمها الاَّ زوجها . فقالت لهُ كما قالت لمن قبلهُ ان عقدكما لا فكاك لهُ

ثم أُتي الى حضرتها باثنين كان احدهما ابًا عقهُ ابنهُ الوحيد فوهبهُ لغني لا ولد لهُ . فقال الاول ان غيظي من عقوق ابني اطار عقلي حتى استاقني الى ان التقي بهِ كمصيبة في مستودع التعاسات وقد تبناهُ اذ ذاك رجل آخر بلا ولد . فقالت لهُ وما الذي اوجب نكولك عن ذلك الآن قال انقطاع صوتهِ وصخبهِ عن سمعي . فقالت وهل كان في هذا الصخب ما يطربك قال لا لكن لما غاب شخصهُ عن عيني تذكرتُ ان العيش كلهُ صخب والدهر نفسهُ شيخ متمرد فقلت ما احقني باحتمال عقوق ابني ولحمة القرابة اشد معهُ منها مع الدهر الآبق ثم املت ان يأْتي يوم اكون فيهِ على ائتلاف معهُ . قالت سمعناك فأْتوني بالغني المتبني فلما وقف امامها قالت وما حالك قال مولاتي انتِ تعلمين ما كابدتهُ في معترك الحياة حتى جمعت ما جمعتهُ من حطام الدنيا وتعلمين اني لم ارزق ولدًا يرث ما اصبتهُ من نعم المولى كما انك تعلمين منزلة المال المجموع بعد

الجهد والجد من قلب صاحبهِ فكنت لهذا لا انفكُّ عن الاستغاثة بالقوابل والاستصراخ بالاطباء فلما اعيتني الحيل وخفت المنايا ان تذهب بشيخٍ مثلي من غير وارث جئتُ يوم نودي بالحضور الى البطحاء لايداع المصائب حاملاً كربتي المذكورة في صرة املاً ان اصيب عند التوزيع ما يدرأُها عني فاذا بهذا الرجل الواقف امامك الآن وضع ولدهُ العقوق فاستبشرت خيرًا واملتُ ان اعطاهُ ولو كان شيطانًا مريدًا فما عتمت حتى امرِتني ان اتبناهُ واجعلهُ وريثي فاخذتهُ فرحًا مسرورًا الى قصري والبستهُ افخر الملابس وسودتهُ على خدمي وحشمي ووليتهُ على ما املك فنام هنيئًا وفي الغداة باكرني وقال عزمت على الاتجار والسفر انتجاعًا لرزقٍ ارفع بهِ منزلتي عندك فقلت حبًا وكرامةً خذ هذه سفتجة بمبلغ كبير فاخذها وتهيأ للسفر فودعتهُ ولم يمضِ اسبوع حتى جاءني منهُ كتاب ينبئُ انهُ قد قامر فخسر السفتجة واصبح مديونًا بمثلها قيمة ولذلك يطلب ان امدهُ بالمال فاجبتهُ اني اتعهد باداء ما عليهِ ان عاد اليَّ سريعًا فعاد ومعهُ زمرة من الرعاع وقال قبل التحية والسلام انقد هؤلاء الرجال الكرام المبلغ الفلاني فاجبتهُ انهُ يتجاوز مقدرتي قال لابد من ادائهِ حالاً ثم هم بمسك طوقي ولما حاولت التملص منهُ قبض على خناقي والقاني وشرع يرفسني بنعليهِ حتى اوشك ان يميتني لو لم يتداركني عبد من عبيدي فاعولت بالبكاء واذا بصوت البوق يدعو الى الحضور فهرولت اليكِ وبي من اوجاع الضرب والرفس ما يقعد بي عن كل حركة لولا تلهفي للحصول على اجازتك بحل عقد التبني. فاجابت ان الحل لا يستطاع فاذهب من حيث اتيت

ثم مر امامها جمهور لا يحصي من المتقايضين في البلايا والعاهات منهم من يستغيث بها من عين مقرحة اخذها بدلاً من انفٍ مشوه ومنهم من يطلب استبدال الخرس بالصمم والخبل بالارق والخرف بالجنون والامراض الجلدية بالعصبية والبطنة بقلة اشتهاء الطعام. فلما مرت هذه الخلائق وقفت ربة الصبر في وسط تلك الساحة الفسيحة وقالت بعالي صوتها

"معاشر الناس بيضًا وسودًا لقد شاطرتكم منذ عهد ابيكم آدم الحزن على ما تبتلون بهِ من الاحن والكوارث والعاهات ولم افتأْ نذيرًا انذركم ان نوازل المكروه لا يمكن رفعها بحيلة من الحيل بل يمكن تخفيف ثقلها بالاستعانة بي واللياذ بعروتي واني لاسفة على ما ارتكبتموهُ من الخطاء في المقايضة التي عرفتم الآن كيف عقباها واعلموا ان المبدع العظيم لما اذن بخلقكم اوصاني بان الازمكم وان لا افارقكم لئلاَّ لا تتجلدوا على المصائب العارضة ولا على الحياة التي ابتليتم بها"

نسيم خلاط

# العقد الفريد

من امهات كتب المحاضرة الممتعة "العقد الفريد" لاحمد بن محمد بن عبد ربهِ الاندلسي مولى هشام بن عبد الرحمن الاموي المتوفَّى سنة ٣٢٨ ه في مدينة قرطبة دار مملكة الاندلس . كتاب حوى من كل شيءٍ طريفهُ ومن كل معنى ظريفهُ بعيد غور مؤلفهِ مستكثر من المحفوظات ضليع من معرفة ايام الناس حسن تأتيهِ في التأليف سليم ذوقهُ من الاختيار . يتصفح العالِم كتابهُ فيستفيد مادة ويقرأهُ الاديب فتسري الفاظهُ ومعانيهِ في منظومهِ ومنثورهِ ويتناولهُ المؤرخ فيقرأ في تضاعيفهِ الصدق في الرواية والاصابة في الاراء ويقلبهُ الطبيب فلا يعتم ان يرى فيهِ نتفاً من طبهِ ووصفاً لعقاقيرهِ ووصفات في تدبير الصحة . ويأخذهُ العامي فيسقط فيهِ على مالا يتيسر لهُ في غيرهِ من النكات المستملحة والاضاحيك الملهية والاحماض الذي تلذُّ لجمهور المطالعين فهو كافٍ جامع "لاكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصة وتدور على السنة الملوك والسوقة"

احسن ما يعجب بهِ المطَّلع على هذا الكتاب صدق لهجة صاحبهِ فقد أَلَّفهُ لعبد الرحمن ابن محمد الملقب بالناصر المتوفى سنة ٣٥٠ اول من تسمى بالخلافة وبأمير المؤْمنين بالاندلس لما وهت الدولة العباسية . أَلفهُ لهُ وهو امويٌّ في المغرب ولم يطرح التصريح بسيرة آبائهِ وجدودهِ في المشرق فذكر المحسن باحسانهِ والمسيء باساءتهِ من خلفاء بني أُمية كافة . حتى ان الناظر في العقد لاول وهلة يحسب ان مؤلفهُ شيعيٌّ علويٌّ يكره الأُمويين على اختلاف بلادهم وانهُ وقف كتابهُ لغمط حسناتهم . وقد وهم الذهبيُّ في اتهامهِ ابن عبد ربهِ بالتشيع وانهُ من اللاحقين بالامويين والحقيقة انهُ من النواصب منحرف عن علي بن ابي طالب كما انهُ لا يزال بعضهم يتهمون ابن الاثير صاحب تاريخ الكامل بمثل هذه التهمة في المذهب ولو انصفوا لوسموهُ بانهُ مؤرخ صادق

تكلم المؤلف على ملوك بني أُمية بالاندلس وامتدح من كان على عهدهِ وأَلف كتابهُ برسمهِ الذي تولى الملك سنة ثلثمائة كما قال "وهي جمرة تحتدم ونار تضطرم فاخمد نيرانها وسكن زلازلها وافتتحها عوْداً كما افتتحها بدأً"

اما ايثارهُ نقل شعرهِ على شعر غيرهِ من اهل الاندلس فذلك كما يظهر لاشتهار اشعارهم ولقولهِ في المقدمة "وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لمغربنا على

قاصيتهِ وبلدنا على انقطاعهِ حظًّا من المنظوم والمنثور". وهنا يجمل ايراد قصيدة للمؤلف قدمها لممدوحهِ الخليفة في اول غزاة غزاها وهي الغزاة المعروفة بغزاة المنتلون التي افتتح بها سبعين حصنًا كل حصن منها " قد نكبت عنهُ الطوائف واعيي على الخلائف " "ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك في الجاهلية والاسلام " واليكها انموذجًا من الشعر الاندلسي :

قد اوضح الله للاسلام منهاجا   والناس قد دخلوا في الدين افواجا
وقد تزينت الدنيا لساكنها   كأَنما أُلبست وشيًا وديباجا
يا ابن الخلائف(١) ان المزن لو علمت   نداك ما كان منها الماء ثجاجا(٢)
والحرب لو علمتْ بأْسًا تصول بهِ   ما هيجت من جبال الدين اهياجا
مات النفاق واعطى الكفر ذمتهُ   وذلّت الخيل إلجامًا واسراجا
واصبح النصر معقودًا بالوية   تطوي المراحل تهجيرًا وإدلاجا(٣)
ادخلت في قبة الاسلام مارقةً   اخرجتها من ديار الشرك إخراجا
بجحفل تشرق الارض الفضاء بهِ   كالبحر يقذف بالامواج امواجا
يقودهُ البدر يسري في كواكبهِ   عرمرمًا كسواد الليل رجراجا
تروق فيهِ بروق الموت لامعة   ويسمعون بها للرعد اهزاجا
غادرت في عقرتي(٤) جيّان ملحمة   ابكيت منها بارض الشرك اعلاجا
في نصف شهر تركت الارض ساكنة   من بعد ما كان فيها الطير قد ماجا
وُجدْتَ في الخبر المأثور منصلتًا   من الخلائف خرّاجًا وولاَّجا
تُملابك الارض عدلاً مثل ماملئت   جورًا وتوضح للمعروف منهاجا
يا بدر ظلمتها يا شمس صبحتها   ياليت حومتها ان هائج هاجا
ان الخلافة لن ترضى ولا رضيت   حتى عقدت لها في رأْسك التاجا

وليس كل ما حوى العقد من الاشعار من نظم صاحبهِ فان هناك من اشعار العرب والمخضرمين والمولدين عراقيين وشاميين وحجازيين ويمانيين ما يسيل رقة ويقطر ظرفًا ومتانة فكأَن العقد خُصَّ باخبار الشرق وآداب اهلهِ خاصة ولم يورد موَّلفهُ بعض شعرهِ الاَّ مقابل ما عاناهُ في الجمع والتأْليف

---

(١) الخليفة السلطان الاعظم ويؤنث كالخليف والجمع خلائف وخلفاء

(٢) ثج الماء سال كانثج وتثجثج   (٣) يقال هجرنا تهجيرًا واهجرنا وتهجرنا سرنا في الهاجرة وهي نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر او من عند زوالها الى العصر والادلاج السير من اول الليل   (٤) العقر وسط الدار واصلها . وجيان بلد بالاندلس

اما في المنثور فقد حوى فصولاً وخطباً ورسائل حرية بان ينسج كتابنا وخطباؤنا على منوالها فمن ذلك خطبة ابي حمزة من زعماء الخوارج التي قال عنها مالك بن انس خطَبنا ابو حمزة خطبة شك فيها المستبصر وردّت المرتاب وهي : اوصيكم بتقوى الله وطاعتهِ والعمل بكتابهِ وسنة نبيهِ صلى الله عليهِ وسلم وصلة الرحم وتعظيم ما صغَّرت الجبابرة من حق الله وتصغير ما عظَّمت من الباطل واماتة ما احيوا من الجور واحياء ما اماتوا من الحقوق وان يطاع الله ويعصى العباد في طاعتهِ ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ندعو الى كتاب الله وسنة نبيهِ والقسم بالسوية والعدل في الرعية ووضع الاخماس في مواضعها التي امر الله بها . إنا والله ما خرجنا أَشرًا ولا بطرًا ولا لهوًا ولا لعباً ولا لدولة ملك نريد ان نخوض فيها ولا لثار قد نيل منا ولكن لما رأينا الارض قد اظلمت ومعالم الجور قد ظهرت وكثر الادّعاء في الدين وعمل بالهوى وعُطِّلت الاحكام وقُتل القائم بالقسط وعُنف القائل بالحق سمعنا منادياً ينادي الى الحق والى طريق مستقيم فاجبنا داعي الله فاقبلنا من قبائل شتى قليلين مستضعفين في الارض فآوانا الله وايدنا بنصرهِ فاصبحنا بنعمتهِ اخوانًا وعلى الدين اعوانًا . يا اهل المدينة اولكم خير اول وآخركم شر آخر انكم اطعتم قرّاءكم وفقهاءكم فاختانوكم (١) عن كتاب غير ذي عوج بتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين فاصبحتم عن الحق ناكبين امواتًا غير احياء وما تشعرون . يا اهل المدينة يا ابناء المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ما اصحَّ اصلكم واسقم فرعكم كان آباؤكم اهل اليقين واهل المعرفة بالدين والبصائر النافذة والقلوب الواعية وانتم اهل الضلال والجهالة استعبدتكم الدنيا فاذلتكم والاماني فاضلتكم فتح الله لكم باب الدين فافسدتموهُ واغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموهُ . سراعٌ الى الفتنة بطاءٌ عن السنَّة عميٌ عن البرهان صمٌّ عن العرفان عبيد الطمع حلفاء الجزع نعمَ ما ورّثكم آباؤكم لو حفظتموهُ وبئس ما تورثون ابناءكم ان تمسكوا بهِ . نصر الله اباءكم على الحق وخذلكم على الباطل . كان عدد آبائكم قليلاً طيباً وعددكم كثير خبيث . اتبعتم الهوى فارداكم واللهو فاسهاكم ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون وتعبركم ولا تعتبرون سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم والله ما فيهم الذي يعلم اخذوا المال من غير حلهِ فوضعوهُ في غير حقهِ وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله واستأثروا بفيئنا فجعلوهُ دولة بين الاغنياء منهم وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء وقلنا لكم تعالوا الى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله فقلتم لا نقوى على ذلك ووددنا انَّا اصبنا من يكفينا فقلنا نحن نكفيكم ثم الله راعٍ علينا وعليكم ان ظفرنا لنعطينَّ كل ذي حق حقهُ فجئنا

---

(١) مبالغة في الخيانة ومعناهُ صرفوكم بالخيانة

فاتقينا الرماح بصدورنا والسيوف بوجوهنا فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا فابعدكم الله · فوالله لو قلتم لا نعرف الذي نقول ولا نعلمهُ لكان اعذر مع انهُ لا عذر للجاهل · ولكن ابى الله الاَّ ان ينطق باسمهِ على السنتكم و يأخذكم بهِ في الآخرة · ثم قال الناس منا ونحن منهم الاَّ ثلاثة حاكماً جاء بغير ما انزل الله او متبعاً لهُ او راضياً بعملهِ

قال ابن عبد ربهِ اسقطنا في هذه الخطبة ما كان من طعنهِ على الخلفاء فانهُ طعن فيها على عثمان وعلي بن ابي طالب رضوان الله عليهما وعمر بن عبد العزيز ولم يترك من جميع الخلفاء الاَّ ابا بكر وعمر وكفر من بعدهما فلعنة الله عليهِ . الاَّ انهُ ذكر من الخلفاء رجلاً اصغى الى الملاهي والمعازف واضاع امر الرعية فقال كان فلان بن فلان من عدد الخلفاء عندكم وهو مضيع للدين والدنيا واشتري لهُ بردان بالف دينار اتزر باحدهما والتحف بالآخر واقعد حبابة عن يمينهِ وسلامة عن يسارهِ فقال ياحبابة غنيني و يا سلامة اسقيني فاذا امتلأ سكرًا وازدهى طربًا شق ثوبيهِ وقال الا اطير فطير الى النار وبئس المصير فهذه صفة خلفاء الله تعالى

وهنا لابأس بايراد كلمة في اللعن الذي يرى في بعض الكتب فانهُ لايجوز في الاسلام الاَّ على الكفار لاعلى التعيين وما يشاهد في بعض الكتب من لعن بعض اهل القبلة وغيرهم فانما هو من زيادات النساخ اما المتقدمون من المؤلفين فلم يكونوا على ما روى لي عالم حكيم ليضيعوا كلمة واحدة في المدح او الذم وكانوا ينقلون الحسنات والسيئات مجردة عن كل طعن ولعن او ثناء ورضاء وقد ورد في الكتاب العزيز عدة آيات في لعن الظالمين والمنافقين اكبارًا لفعلتهم في خراب العمران . وان ابن عبد ربهِ على ادبهِ وحرية ضميرهِ وكونهِ لم ينقل اخبارهُ الاَّ مسندة الى قائليها لم يتمالك عند ذكر ما صدر من مسلم بن عقبة الذي افحش في قتال اهل المدينة لاخذ البيعة ليزيد بن معاوية ان قال عند موت مسلم لارحمهُ الله وكذلك عند موت يزيد وبعد قصة قتل الحجاج لعبد الله بن الزبير «لارحم الله الحجاج» ولعلَّ ذلك من تزايدات الناسخين على ان ابن عبد ربهِ يعذر بعض العذر في لعنهِ الخوارج فقد وصفهم احد الخلفاء لعاملهِ على العراق بقولهِ : ضع سيفك في كلاب النار وتقرَّب الى الله بقتل الكفَّار · ولكن هي الاغراض السياسية تعمي وتصم

قال ارسطاطاليس عقول الرجال تحت سنّ اقلامهم . كلام يصح اطلاقهُ على ماخلَّفهُ العرب من الآثار ونقل بعضها ابن عبد ربهِ فان هذا المنقول يسوغ ان يتخذ حجة على مبلغهم من الحضارة ودرجتهم من العقل والحنكة والاخلاق وهاك غيض من فيض افكارهم وذروٌ من وافر آدابهم تدل على انهم ليسوا في فصاحتهم دون فصحاء الغرب لهذا العهد · كتب

احدهم الى صديق لهُ : نحن في مأْدبة لنا تشرف على روضة تضاحك الشمس حسناً قد باتت تُعلها فهي مشرقة بمائها حالية بنوّارها فرأْيك فينا لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض · فكتب اليهِ · هذه صفة لو كانت في اقاصي الاطراف لوجب انتجاعها وحثّ المطيّ في ابتغائها فكيف في موضع انت تسكنهُ وتجمع الى انيق منظرهِ حسن وجهك وطيب شمائلك وانا الجواب . ولبعضهم : الى الله اشكو شدة الوحشة لغيبتك وفرط الحزن من فراقك وظلم الايام بعدك واقول كما قال بعض المحدثين

غضارة دنيا اظلم العيش بعدها  وعند غروب الشمس يعرف فقدها

والآخر : الشوق اليك والى عهد ايامنا التي حسنت كأَنها اعيان وقصرت كأَنها ساعات يفوت الصفاء ومما يجددهُ ويكثر دواعيهِ تصاقب الديار وقرب الجوار تمم الله لنا النعمة المجددة فيك بالنظر الى العزَّة المباركة التي لا وحشة معها ولا انس بعدها · وكتب العتابي فكاد ان يخل بالمعنى من شدة الاختصار : حامل كتابي اليك انا فكن لهُ انا والسلام. وللحسن بن سهل: فلان قد استغنى باصطناعك اياهُ عن تحريكي اياك في امرهِ فان الصنيعة حرمة للمصنوع اليهِ ووسيلة الى مصطنعهِ فبسط الله يدك بالخيرات وجعلك من اهلها ووصل بك اسبابها

انا منتظر واحدة من اثنتين عُتبي تكون منك او عتبي تغني عنك · الهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل لو ان كل من نازع الى الصرم قلدناهُ عنان الهجر لكنا اولى بالذنب منهُ ولكن نرد عليك من نفسك ونأْخذ لا منك

اذا جعلت الظن شاهداً تعدل شهادتهُ بعد ان جعلتهُ حكماً يحيف في حكومتهِ فاين الموئل من جورك ولست اسلك طريقاً من العتب عليك الاَّ شدة ما انطوى عليهِ من مودتك ولا سبيل الى شكايتك الاَّ اليك ولا استعانة الاَّ بك وما احق من جعلك على امر عوناً ان تكون لهُ الى النجاح سبباً قال الشاعر

عجبت لقلبك كيف انقلب  ومن طول ودك انَّى ذهبْ
واعجب من ذا وذا انني  اراك بعين الرضا في الغضبْ

من شكرك على درجة رفعتهُ اليها او ثروة اقدرتهُ اياها فان شكري لك على مهجة احييتها وحشاشة ابقيتها ورمق امسكت بهِ وقمت بين التلف وبينهُ فلكل نعمة من نعم الدنيا حدٌّ تنتهي اليهِ وحد يوقف عندهُ وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التي قد فاتت الوصف واطالت الشكر وتجاوزت قدرهُ وانت من وراء كل غاية رددت عنها كيد العدو وارغمت انف الحسود فنحن نلجأُ اليهِ منها الى ظل ظليل وكنف كريم فكيف يشكر الشاكر واين يبلغ جهد المجتهد

اما بعد فانك لوعرفت الحسن لتجنبت شين القبيح ورأيتك آثر القول عندك مايضرك فكنت فيما كان منك ومنَّا كما قال زهير ابن ابي سلمى

وذي خَطل في القول يحسب انهُ مصيب فلم يلمم بهِ فهو قائلهْ
عبأت لهُ حلماً واكرمت غيرهُ واعرضت عنهُ وهو بادٍ مقاتلهْ

ان مودة الاشرار متصلة بالذلة والصَّغار تميل معهما وتصرف في آثارهما وقد كنت احل مودتك بالمحل النفيس وانزلها بالمنزل الرفيع حتى رأيت ذلتك عند الضعة وضرعتك عند الحاجة وتغيرك عند الاستغناء واطراحك لاخوان الصفاء فكان ذلك اقوى اسباب عذري في قطيعتك عند من يتصفح امري وامرك بعين عدل لاتميل الى هوى ولا ترى القبيح حسناً

كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون : وقد اصبح امير المؤمنين محمود السيرة عفيف الطعمة كريم الشيمة مبارك الضريبة محمود النقيبة (١) موفياً بما اخذ الله مضطلعاً بما حملهُ منهُ مؤدياً الى الله حقهُ مقرًّا لله بنعمتهِ شاكرًا لآلائهِ لايأتمر الاَّ عدلاً ولا ينطق الاَّ فصلاً محيياً لدينهِ وامانتهِ كافًّا ليدهِ ولسانهِ

كتب محمد بن عبد الملك الزيات : ان من حق الاولياء على السلطان تنفيذ امورهم وتقويم اودهم ورياضة اخلاقهم وان يميز بينهم فيقدم محسنهم ويؤخر مسيئهم ليزداد هؤلاء في احسانهم ويزدجر هؤلاء عن اساءتهم

هذه نُتَفٌ اخذتها عرَضاً وما هي الأمثال من الانشاء في القرن الثاني والثالث ولو امعنت في تقليب العقد لبلغ ما ينتقى من فضالة امراء الكلام مئات من الصفحات . وحسب المطالع ان يقرأ هذه النموذجات لتكون لهُ ادلة على الرجوع الى الاصل . هناك يرى لمعة مما خطتهُ انامل العتابي وابن يوسف وابن سهل وابن الزيات وابن مكرم وابن وهب وابن الجهم وسهل بن هرون وعمر ابن بحر الجاحظ . ولا ينبغي ان يفوت هذا البحث شيءٌ من كلام سهل بن هرون والجاحظ فان الاول غير مشتهر اليوم عند الخاصة ولقد رأيت كثيرين في مصر والشام مجمعين على ان الثاني بحسن ديباجتهِ ومتانة تراكيبهِ وانتقاء الفاظهِ ومعانيهِ يصلح ان يكون شيخ الكتَّاب على الاطلاق فان انشاءهُ هو الحلقة الموصلة بين القديم الغامض والحديث السهل واليك انموذجات من كلامهِ وان اشتهرت كتاباتهُ شهرة الشمس والقمر :

اما بعد فان المكافأة بالاحسان فريضة والتفضل على ذوي الاحسان نافلة . اما بعد فان العقل والهوى ضدان فقرين العقل التوفيق وقرين الهوى الخذلان والنفس طالبة فبأيهما

---

(١) الطعمة بالضم وجه المكسب والضريبة الطبيعة والنقيبة النفس والعقل

ظفرت كانت في حزبهِ . اما بعد فان الاشخاص كالاشجار والحركات كالاغصان والالفاظ كالثمار . اما بعد فان القلوب اوعية والعقول معادن فما في الوعاء ينفد اذا لم يمدهُ المعدن . اما بعد فكفى بالتجارب تأديبًا وبتقلب الايام عظة وباخلاق من عاشرتهُ معرفة وبذكرك الموت زاجرًا . اما بعد فان احتمال الصبر على لذع الغضب اهون من اطفائهِ بالشتم والقذع . اما بعد فان اهل النظر في العواقب اولو الاستعداد للنوائب وما عظمت نعمة امرء الا استغرقت الدنيا همتهُ ومن فرغ لطلب الآخرة شغلهُ جعل الايام مطايا عملهِ والآخرة مقيل مرتحلهِ . اما بعد فان الاهتمام بالدنيا غير زائد في الرزق والاجل والاستغناء غير ناقص للمقادير . اما بعد فان احببت ان تتم لك المقة في قلوب اخوانك فاستقلَّ كثيرًا مما توليهم . اما بعد فان انظر الناس في العاقبة من لطف حين كف حرب عدوهِ بالصفح والتجاوز واستل حقدهُ بالرفق والتحبب

ومن كلامهِ : اما بعد فان احق من اسعفتهُ في حاجتهِ واجبتهُ الى طلبتهِ من توسل اليك بالامل ونزع نحوك بالرجاء . اما بعد فما اقبح الاحدوثة من مستمنح حرمة وطالب حاجة رددتهُ ومثابر حجبتهُ ومنبسط اليك قبضتهُ ومقبل اليك بعنانهِ لويت عنهُ . اما بعد فان فلانًا اسبابهُ متصلة بنا يلزمنا ذمامهُ وبلوغ موافقتهِ من اياديك عندنا وانت لنا موضع الثقة من مكافأتهِ فاولنا فيهِ يعرف موقعنا من حسن رأيك وتكون مكافأة لحقهِ علينا . اما بعد فقد اتانا كتابك في فلان ولهُ لدينا من الزمام ما يلزمنا مكافأتهُ ورعاية حقهِ ونحن من المعتبة بامر على ما كان في حرمة ويؤدي شكرهُ

ولا يظن ظان ان ما ورد في العقد من الاخبار والآثار انما هو مما ولدتهُ العقول في القرون الاولى للاسلام فان فيهِ جانبًا من آثار العرب العرباء واخبارهم في الجاهلية واليك انموذجًا من المنثور العربي القديم انقلهُ وانا استميح على هذا التجوُّز والامور بمقاصدها قال : كان عمر بن حجر ملك كندة وهو جد امريء القيس اراد ان يتزوج ابنة عوف ابن محلم الشيباني الذي يقال فيهِ لا حرَّ بوادي عوف لافراط عزّهِ وهي ام إياس وكانت ذات جمال وكمال فوجَّه اليها امرأة يقال لها عصام لتنظر اليها وتمتحن ما بلغهُ عنها فدخلت على امها أُمامة ابنة الحرث فاعلمتها ما قدمت لهُ فارسلت الى ابنتها : اي بنية هذه خالتكِ اتت اليكِ لتنظر الى بعض شأنكِ فلا تستري عنها شيئًا ارادت اليهِ من وجه وخَلق وناطقيها فيما استنطقتك فيهِ . فدخلت عصام عليها فنظرت الى ما لم ترَ عينها مثلهُ قط بهجة وحسنًا وجمالاً فاذا هي اكمل الناس عقلاً وافصحهم لسانًا فخرجت من عندها وهي تقول : ترك الخداع مَن كشَف القناع . فذهبت مثلاً ثم اقبلت الى الحرث فقال لها : ما وراءك يا عصام . فارسلها مثلاً . قالت :

صرّح المخض عن الزبدة . فذهبت مثلاً · قال اخبريني قالت اخبرك صدقًا وحقًا : رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة يزينها شعر حالك كاذناب الخيل المقصورة ان ارسلتهُ خلتهُ السلاسل وان مشطتهُ قلت عناقيد كرم جلاهُ الوابل ومع ذلك حاجبان كأنهما خطا بقلم او سوّدا بحمم قد تقوسا علي مثل عين العبهرة(١) التي لم يرعها قانص ولم يذعرها قسورة(٢) بينهما انف كحدّ السيف المصقول لم يخنس(٣) بهِ قصَر ولم يمض بهِ طول حفت بهِ وجنتان كالارجوان في بياض محض كالجمان شق فيهِ فم كالخاتم لذيذ المتبسم فيهِ ثنايا غرر ذوات اشُر(٤) واسنان تعد كالدر وريق كالخمر لهُ نشر الروض بالسحَر · يتقلب فيهِ لسان ذو فصاحة وبيان يزيد بهِ عقل وافر وجواب حاضر الخ

وبعد فهذا ما رأيت التنبيه عليهِ من منظوم العقد ومنثورهِ بقي ثمت من الفوائد مالا يتيسر الوقوف عليهِ الاّ في المظان البعيدة المنال فمن فوائدهِ التاريخية توسعهُ في الكلام على الفتن التي قامت بين المسلمين بسطهُ بسطًا قلما يجرأُ عليهِ مؤرخ · ومن الفوائد التي ذكرها في تضمين الاسرار في الكتب قولهُ ان شئت كتبت بماء الزاج الابيض فاذا وصل الى المكتوب اليهِ أمرّ عليهِ شيئًا من غبار الزاج الابيض وان احببت ان لا يقرأ الكتاب بالنهار فاكتبهُ ببرارة السلحفاة

هذا وقد وقع لصاحب العقد اشياء لا ينبغي اغفالها ولا ان يكون اعتبار ما ألَّف صاحبهُ مبررًا في السكوت عنها فان لهُ جملاً وفصولاً متقطعة جاءت في عرض كلامهِ ينبذها الادب ولا يقرها الشرع كاخبار الخالعين والماجنين والمفاكهات وغيرها من العبارات التي لا يصح ان تقع في يد الفتى ولا الفتاة وكنت اود ان يعرى سلك العقد على حسنهِ منها

بقي لي ان اقول ان ابن عبد ربهِ على عنايتهِ بجمع جانب مهم من اخبار العرب قد يطيل في بعض الفصول عمدًا او على غير رضى الى ان يبعث على السآمة في النفوس مثل إطالتهِ في وصف الخيل والرثاء ووالانساب والفصائل وغيرها ولا يعترض عليهِ نظم ارجوزة في اعاريض الشعر وعلل القوافي فانهُ قصد بذلك التسهيل على بعض الناس فقد يستفيد المطالع من الشعر والعلم معًا

ومن فضل العرب ان ادخلوا العلوم في سلك النظم حتى سهلت على كثيرين ممن يميلون اليهِ فيقتبسون ضروبًا مختلفة من العلوم وهو نوع من الاحتيال على النفوس في ترغيبها في ما لا تميل اليهِ ابتداء · وليت المؤلف نظم اراجيز اخرى في كل فن من فنون الادب الاثني عشر

وللعقد حسنات كثيرة تميز بها عن سائر كتب الادب وحبذا لو طبع اجزاء صغيرة طبعًا

---

(١) الرقيقة البشرة الناصعة البياض والجامعة للحسن في الجسم والخلق (٢) القسورة العزيز والاسد

(٣) يقال خنس بفلان غاب بهِ كتخنس به (٤) التحزيز الذي يكون في الاسنان خلقة ومستعملاً

متقناً مشكولة بعض الفاظهِ المشكلة ليتيسر وضعهُ في الجيوب ويقرأهُ المولعون في خلواتهم وجلواتهم فانهُ من اشمل كتب القراءة القديمة · ولكل عصر ذوقهُ واصول تأليفهِ وقديماً قالوا ان الصاحب بن عباد كان يصطحب معهُ احمالاً من الكتب فلما حظي بكتاب الاغاني اقتصر عليهِ كما ان كثيرًا من اهل العلم والمتأدبين في القديم والحديث اقتصروا على العقد الفريد لانهُ فريد في بابهِ

محمد كرد علي

# مستقبل افريقية

من الناس من لا ينظر الى ابعد من يومهِ · فيقوم ويقعد ويأكل ويشرب كأَن نوائب الدهر عنهُ غافلة وكأَن ما يكفيهِ من حطام الدنيا يكفي ابنهُ وابن ابنهِ والرزق مقدور لا يزيدهُ السعي ولا ينقصهُ التوكل · واذا جرت امة كلها هذا المجرى ولم تهتم بالمستقبل ولا ادَّخرت لليوم العبوس فقلما تقوى على البقاء او يكون لها في معترك الامم شأن يذكر

ومنهم من تراهُ مهتمًّا دئباً لا يقنع بقليل ولا بكثير يعمر الارض كأَنهُ خالد فيها او كأَنهُ يعدُّ نفسهُ جزءًا من امة كبيرة تقدَّر حياتها بالالوف من السنين فيسعى اليوم لما ستصير اليهِ بعد الف عام · ويقال ان الشعب الانكليزي من هذا القبيل فيهتم الآن بامتلاك بلاد تصلح لسكناهُ حتى يهاجر اليها بنوهُ في مستقبل الازمان كما هاجروا الى اميركا واستراليا وزيلندا الجديدة لان بلادهم ضاقت بهم فلا بدَّ من مهاجرة الذين يزيدون من المواليد على الوفيات · وهم يبحثون الآن عمَّا يصلح لسكناهم من قارَّة افريقية

وقد كتب السر هري جنستن الرحَّالة المشهورة فصلاً في هذا الموضوع نشرهُ في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قال فيهِ ما محصلهُ

ان الاوربيين الذين يقصدون الهجرة الى افريقية وامتلاكها وتعميرها كما امتلكوا اميركا وعمروها يجدون امامهم ثلاثة عوائق كبيرة تحول دون مبتغاهم الاول كثرة الامراض في الاماكن الكثيرة الماء وقلة الماء في الصحاري القاحلة · والثاني مقاومة السكان لهم · والثالث الشعور الادبي الذي ابتدأ يتسلط على النفوس في اوربا وهو انهُ لا يحلُّ للاوربيين ان يغتصبوا بلاداً ليست لهم

اما العائق الاول اي كثرة الامراض في الاماكن الكثيرة الماء وقلة الماء في الصحاري القاحلة فازالتهُ صارت من الامور الممكنة لان الامراض التي تتفشَّى حيث يكثر الماء اكثرها من

نوع الملاريا وقد ثبت الآن انهُ اذا استؤصل منها البعوض الذي ينقل جراثيم الملاريا زالت الحميات الملارية منها ۰ وزد على ذلك انهُ اكتشف فيها عقار يستخرج من جذر السنا يشفي من الملاريا كما تشفي الكينا من البرداء ۰ وفي طبقات الارض تحت الصحاري ماء غزير يمكن استنباطهُ بالآبار الارتوازية فتروى بهِ حتى يسهل زرعها وسكناها ۰ فالمرض وقلة الماء لا يمنعان الاوربيين من احتلال افريقية وانما يمنعهم من ذلك مقاومة الشعوب الافريقية لهم وشعورهم بانهم مغتصبون اذا فعلوا ما يأباه عليهم الانصاف لكن الامر الثاني من هذين الامرين تابع لاحوال الزمان فقد قيل ان الجوع كافر فاذا كثر الزحام في اوربا ولم يجد الاوربيون لهم منتجعاً في اميركا ولا في اسيا ولا في استراليا فلا بدَّ لهم من الهجرة الى افريقية اذا استطاعوا الى ذلك سبيلاً ۰ وناموس الجهاد لاجل البقاء يتغلَّب على كل ناموس سواه

يبقى العائق الثاني وهو مقاومة السكان فان اهالي افريقية اشد بأساً من هنود اميركا ومن اهالي استراليا فلا يسهل التغلب عليهم وهم اذا أُحسن اليهم سهلو الانقياد ولكنك اذا اسأتهم يوماً هبُّوا في وجهك واستقتلوا في الدفاع عن ذمارهم ۰ فيجدر بمن يهتم بمستقبل البيض ان يبحث عن اسلوب لتعمير افريقية يكون اقل الاساليب مضرَّة بسكانها وابعدها عن اثارة الفتن فيها

والظاهر ان الزنوج سكنوا افريقية من قديم الزمان وكانت القارة كلها وطناً لهم حتى حدودها الشمالية في ما يلي بحر الروم وكانوا فريقين فريقاً من النوع الموجود الآن في استراليا وهم سكان الانحاء الشمالية وكانوا يسكنون اوربا ايضاً وفريقاً من البشمن القصار القامة ۰ ثم تولَّد الزنوج الطوال القامة في اعالي وادي النيل وانتشروا في القارة كلها ۰ ودخل البيض افريقية بعد ذلك من جنوبي اوربا وغربي آسيا واستوطنوا القطر المصري الى عهد البطالسة ومن ثم جعل بعض الاوربيين من الجنس الاري يرحلون اليها ۰ اما جنوبي افريقية فلم يصل اليهِ الاوربيون الاَّ منذ ٢٥٠ سنة وكان اكثرهم من سكان جنوبي اوربا ولم تستوطنهُ الشعوب الاوربية الشمالية الاَّ منذ مئة سنة

ومنذ نحو سبعين سنة استولى الفرنسويون على بلاد الجزائر اي انهم اعادوا الكرة التي بدأ بها اليونان والرومان ومن المرجح انهُ لا يتم قرن على هذا الاستيلاء حتى تصير لهم سلطة واسعة في الشمال الغربي من افريقية ممتدة من حدود مصر الى بحيرة شاد ومن النيجر والسنجال الى البحر المتوسط تضم تحت لوائها اقواماً كثيرين من الفرنسويين والاسبانين والايطاليين واهالي مالطة لان هؤلاء الاقوام كلهم اخذوا يرحلون الى تلك البلاد حالما انتشر فوقها العلَم

الفرنسوي . وسكان البلاد من الليبيين والبربر والعرب كلهم من الجنس الابيض فاستيطان الاوربيين بلادهم ليس من قبيل نزول شعب على شعب آخر وطردهِ من مواطنهِ كما فعل الاوربيون في اميركا بل من قبيل اضافة شعب الى شعب آخر كما فعل العرب في مصر بعد الفتح . وسيكثر ورود البيض الى القطر المصري ايضاً من غربي آسيا وجنوبي اوربا كما حدث في القرون الغابرة ولكن سكان البلاد الشمالية كالانكليز والالمان لا يستطيعون الاقامة طويلاً في هذا القطر ولا في غيرهِ من البلدان الحارة ولا بدَّ لهم من بلاد جبليَّة باردة وهي موجودة في افريقية بين نهر زمبيسي ورأس الرجاء الصالح وحول بحيرة نياسا والى الشمال الشرقي من بحيرة فيكتوريا نينزا وفي بلاد الحبشة وكل ذلك في شرقي افريقية اما في غربيها فالبلاد الجبلية الوحيدة جزيرة فرنندو بو وجزيرة سنت توماس في خليج غينيا والجبال التي تقابلها وهي المعروفة بنجود كمرون فان جانباً منها ارتفاعهُ عشرة آلاف قدم عن سطح البحر . وفي جزيرة سنت توماس مستعمرة برتغالية تبلغ نحو الفي نفس

نرجع الآن الى شرقي افريقية ونبدأ ببلاد الحبشة وهي بلاد جبلية ولكن سكانها من الجنس القوقاسي اصلاً ولو اسودَّت بشرتهم وهم اهل حرب وجلاد لا يصطلي لهم بنار فلا مطمع بأخذ بلادهم منهم ولا يستحل الاوربيون ذلك . وشرقيهم الى الجهة الجنوبية بلاد الصومال او الشمال وهي اشد البلدان حرًّا والى الجهة الشمالية املاك ايطاليا وفي داخليتها بلاد عالية يسهل على الايطاليين السكن فيها وقد سكنها كثيرون منهم الآن

وفي الجهات المتوسطة من شمالي الكنجو الى البحيرات الكبيرة والى نهر زمبيسي نجود كثيرة طيبة الهواء خصبة التربة لكن سكانها اشداءُ البأس لا يتيسر طردهم منها او اخذها منهم والى الشمال الشرقي من فكتوريا نينزا بلاد عالية تبلغ مساحتها سبعين الف ميل مربع تصلح لسكن الاوروبين بل لسكن الانكليز منها خمسون الف ميل يسكنها اقوام اشداءُ من الزنوج ويبقى ما مساحتهُ عشرون الف ميل او اربعة عشر مليون فدان يستطيع الاوربيون ان يسكنوها من غير منازع . ويقال ان في النية اعطاءَ ربعها لليهود لينزحوا اليها من شرقي اروبا وقد اعترض الكاتب على ذلك لان اليهود ليسوا من رعايا الانكليز ولا هم اهل فلاحة وزراعة ليعمروا البلاد

ويوجد عدا ذلك ستة آلاف ميل مربع في البلاد المتوسطة وخمسة آلاف ميل اخرى في جنوبيها وعشرون الف ميل في الولايات الجنوبية ويضاف اليها ثلثا بلاد الترنسفال وثلث روديسيا وثلثا ولاية نهر اورانج واربعة اخماس مستعمرة الرأس وثلث بلاد ناتال وكلها صالح لسكن البيض

في قارة افريقية بلاد واسعة غير البلدان التي يسكنها البيض الآن قد لا تقل مساحتها عن ١٥٠ الف ميل مربع او نحو مئة مليون فدان وهي صالحة لسكنى الاوربيين ولا ينازعهم الزنوج فيها اما لانهم لا يسكنونها الآن او لانهم قلال فيها جدًّا فمجال الاستعمار فيها واسع

ومن رأي الكاتب انهُ يجب تقسيم افريقية من الآن تقسيمًا يؤَهلها للاستعمار فتترك البلاد الكثيرة السكان لاهلها وتعطى البلاد القليلة السكان التي هواؤُها غير صحيح للهنود وغيرهم من اهالي اسيًا لانهُ لا يتعذَّر عليهم السكن فيها واما البلاد القليلة السكان الطيبة الهواء فتعطى للاوربيين وتبقى السيادة للبيض حتى في البلدان التي اكثر سكانها من السود الى ان يتعلم السود ويتأصل العمران في بلادهم ولكن تكون خيراتهم لهم لا للبيض والاَّ اشتدَّ النفور بين الفريقين وكثر سفك الدماء وتأخر عمران البلاد قرونًا كثيرة

وفي ما ارتآهُ من التقسيم وسكن كل فريق من الناس في البلاد التي تصلح لهُ خير ضامن لفلاح الامم التي تسكن افريقية وخير ضامن لفلاح كل امة لان الامة التي تسيطر عليها وتهيمن لا تعتمد على نفسها فتبقى كالطفل الذي تحملهُ بين زراعيك ولا تدعهُ يقع ويقوم حتى تشتد كعباهُ ويستطيع المشي او كالشاب الذي يساعدهُ والداهُ في كل اعمالهِ فلا يدعان لهُ سبيلاً لاعتمادهِ على نفسهِ ٠ وكل من يذهب الى غير ذلك فهو يجهل تاريخ العمران وعلم طبائع الانسان

## الخطر الاصفر

ان ما أَبدتهُ اليابان من البسالة والاقدام في هذه الحرب حمل كثيرين من الكتَّاب على الظن انها قد تتحد مع الصين وتجند من الصينيين الملايين الكثيرة وتدوِّخ بهم اوربا وسموا ذلك باتحاد الشعوب الصفراء وقالوا انهُ الخطر الاصفر الذي يتهدَّد اوربا اذا عقد النصر لليابان في حربها مع الروس ٠ والظاهر ان مروجي هذا الوهم كانوا يقصدون اثارة خواطر الاوربيين الى الاخذ بناصر الروس فتصدَّى لهم اناس ضلعهم مع اليابان وكثر الحجاج واللجاج بين الفريقين . واطلعنا اخيرًا على مقالة لاحد كبار الكتاب جمع فيها من الشواهد والادلة ما يقنع القارىء ان لا خوف من انضواء شعوب الصين تحت لواء حربي مهما كان ٠ وفي المقالة فوائد جمة لا بأس باطلاع قراء المقتطف عليها قال الكاتب

اذا انضمت الشعوب الصفراء ( اهالي الصين واليابان ) وانضوت تحت لواء واحدٍ فقد لا تسلم اوربا من شرها ولاسيما الدول التي لها ولايات واسعة في الشرق كانكلترا وفرنسا لان اهالي تلك الولايات من الشعوب الصفراء

ولقد كان عمران الصين واليابان واحداً منذ اربعين سنة وكانت علومهما واحدة وصنائعهما واحدة وكانوا يكرهون الاجانب على حدٍ سوى فلا غرابة اذا نهضت الصين كما نهضت اليابان وجارتها في مضمار العمران ونظمت جنديتها وبحريتها كما نظمتها اليابان وتكون الصين اقوى من اليابان حينئذٍ بمقدار ماهي اوسع منها نطاقاً واكثر سكاناً ويكون الخطر الاصفر حقيقياً لا وهمياً

لكن الكاتب نفى امكان ذلك وقال ان الصينيين واليابانيين يختلفون اختلافاً جوهرياً في تواريخهم وتقاليدهم واخلاقهم واغراضهم وسائر امورهم حتى يستميل التوفيق بينهم. وجوهر الاختلاف ان اليابانيين اهل سعة ونظر في المستقبل يحبون الارتقاء ويكرهون الجمود واما الصينيون فجمدوا على حالة واحدة منذ الوف من السنين كانهم عائشون في الماضي ولا يزالون على هذا الجمود حتى الآن . وكل ما في الصين من علم وسياسة مبني على قوانين سنَّت قبل عصر موسى الكليم ونظام حكومتهم لم يتغير من عهد فيلسوفهم كنعفشيوس الى الآن بل يتناقلهُ الخلف عن السلف كما هو. وعندهم مجلس مؤلف من اكابر الدولة لمراقبة الاوامر الملكية حتى تكون مطابقة لقواعد كنعوشوس في كل الامور الجوهرية ولا تزال قواعد كتاب الفرائض الذي أُلف منذ ثلاثة آلاف سنة معمولاً بها في كل دوائر الحكومة وفي كل البيوت

وقد نشأ كنفوشيوس قبل المسيح بنحو خمس مئة سنة وقبل الاسكندر بثلثمئة سنة ولا يزال اهل الصين من الملك الى اصغر الصعاليك يكرمونهُ اكراماً دينيًّا ويأتمرون بأوامرهِ. واوامرهُ مبنيَّة على اقوال قالها ملوك الصين الاقدمون الذين نشأُوا قبلهُ بنحو ١٨٠٠ سنة اي من سنة ٢٣٥٦ الى سنة ٢٢٠٥ قبل المسيح حاسباً ان ذلك الزمن افضل ازمنة الصين وهو مثل ما يلقبهُ الاوروبين بالعصر الذهبي

واذا أراد احد من الصينيين ان يرتئي رأياً او يشير بعمل فيهِ مصلحة لبلادهِ اضطر ان يسندهُ باقوال من كتب القدماء كأَن باب الاجتهاد اقفل عندهم منذ الفي سنة او اكثر وهم مثل علماء المسلمين من هذا القبيل فقد وصل الى يدنا كراس ونحن نكتب هذه السطور موضوعهُ ارشاد الامة الاسلامية الى اقوال الائمة في الفتوى الترنسفالية ويقال انها "لاكابر مدرسي الازهر بمصر وائمة المذاهب الاربعة الذين يعوَّل عليهم ويوثق بعلمهم في العلوم الشرعية" فقلبنا صفحاتها فوجدناها مثل ما كتب قبلها في هذا الموضوع مستندها اقوال المتقدمين وتفاسيرهم للكتاب والسنة كأَنَّ كاتبيها لا يستطيعون ان يبدوا رأياً يدلهم عليهِ عقلهم وعلمهم فكلهم مقلد كرجال الصين. فلو سئل اوربي هل يجوز اكل هذا الذبيح لقال نعم يجوز اذا

لم يكن فيهِ مرض ينتقل الى آكلهِ او فساد يؤذيهِ واما اذا كان فيهِ مرض ينتقل الى آكلهِ فلا يجوز اكلهُ سُمي عليهِ او لم يسمَّ . وكذا البرنيطة فانهُ يجب ان ينظر اليها من حيث كونها لباساً للرأس ومن حيث اتفاق الناس على لبس يمتازون بهِ عن غيرهم . ولا يخفى ان السائل سأل عن جواز اكل الذبيحة ولبس البرنيطة ديناً فكان الجواب على قدر السؤال ولكن الامم الراقية الآن مراقي الفلاح تبني مطالبها على التحقيقات العلمية لا على سواها ونحن نجاريها في امور كثيرة فاذا مرض ابن اكبر علمائنا استدعى لهُ طبيباً ماهراً في صناعة الطب ولم يسأل ما هو قول الشافعي ولا ما قول ابن سينا واذا وقع وباء في ماشيتهِ سأل ارباب الفن عن كيفية علاجهِ ولم يبحث عن اقوال الائمة فيهِ فاحرِ بنا ان نبني عليها في ما نأكلهُ وما نلبسهُ

نعود الى الصين — واذا اراد ملك الصين ان يأمر بامر او يجدد شيئاً اضطرَّ ان يعزز اقوالهُ باقوال الائمة الاقدمين ويبني على احكامهم مثال ذلك ما ورد في امر اصدرهُ حديثاً قصد بهِ اصلاح بلادهِ فقال

" ان القوانين التي يسترشد بها الناس قديمة غير متغيرة ولكن اسلوب الحكم بها يمكن تغييرهُ وقد صرَّح بذلك كتاب التغييرات نعم ان القيود الثلاثة والفضائل الخمس الواضحة وضوح الشمس والكواكب لا يمكن تغييرها ولكن يمكن التغيير في امور الملك كما يغير العازف اصابعهُ وهو ينقر على الوتر "

والتقليد شأن الصينيين في كل امورهم وهم يقلدون ائمتهم الذين نشأُوا منذ ثلاثة آلاف سنة او اكثر ولا يحيدون عن احكامهم شعرة فكيف يرجى ان يجاروا العمران الحاضر وهو كل يوم في شأن . ولا يقلدون من جاء بعد اولئك الائمة لان عمرانهم وقف عند ذلك الحد ولم يتجاوزهُ كما وقفت علومنا عند الحد الذي بلغتهُ في دولة بني العباس

وينكر الصينيون على الاوربيين كل علم وتقدُّم ويقولون كما قال لنا احد علماء الازهر منذ بضع عشرة سنة ان كل العلوم الطبيعية التي يفخر بها الاوربيون هزء ومن علمائنا من يفوت هذا الحد قال لنا واحد منهم كل العلوم مجموعة تحت نقطة الباء في البسملة

وينظر الصينيون الى ما في العمران الاوربي من المفاسد فيحكمون بفسادهِ كلهِ . قال امير من انبغ امرائهم " اننا اذا قابلنا تاريخ الصين من الآن الى الفي سنة مضت بتاريخ اوربا من الآن الى خمسين سنة مضت لم نرَ في تاريخ اوربا شيئاً من كرم الاخلاق الذي نراهُ في تاريخ الصين " . ولما ثار البوكسر على الاوربيين قال الصينيون عامتهم وخاصتهم ان اله السماء سخط على هؤلاء البرابرة ( اي الاوربيين ) فاذن للجن والابالسة ان تقوم عليهم وتهلكهم . ولما اراد

القيصر الحالي ان يزور بلاد الصين منذ ثلاث عشرة سنة ابت الصين عليهِ ذلك لئلا يحسب اكرامها لهُ اعترافاً منها بعلو قدرهِ وبان بلادهُ مساوية لبلادها مقاماً · ولترفُّع الصينيين واعتدادهم بانفسهم يأنفون من اقتباس ملابس الاوربيين ولو في اوربا

وقد قال كنفوشيوس «لامزاولة بلا مواظبة ولا راحة بلا مزاولة ولاسكينة بلا راحة ولاتفكير بلا سكينة ولا نجاح بلا تفكير» · وهذا يفسر حال الصينيين العقلية فعندهم الراحة اصل لكل نجاح وهي انما تحصل بالمواظبة والمزاولة فيواظبون على ما في يدهم ويزاولونهُ دواماً حاسبين انهُ ينيلهم الراحة والنجاح

وكتابة الصينيين وعلومهم يستغرق تعليمها سنين كثيرة فيقضون زهرة العمر في تعلم لغتهم وحفظ قواعد وقوانين قليلة النفع فلا يبقى لهم وقت لتعلم لغة اجنبية · ولاستظهارهم تعاليم ايمتهم ترسخ قواعدها في نفوسهم حتى يتعذَّر نزعها منها

ثم انهم يعبدون اسلافهم او يحترمونهم احتراماً دينياً فيضطرون ان يستيروا بسيرتهم ويطبقوا اعمالهم على ما يعلمونهُ عنهم ولذلك تجدهم يحاولون دائماً ان يعيشوا كما عاش اسلافهم منذ ثلاثة آلاف سنة

وجملة القول ان الصينيين اهل سلام وسكون لا يطلبون الحرب ولا يتوخون التغيير · وعلى الضد من ذلك اليابانيون فانهم اهل حرب وجلاد يتوخون الارتقاء دائماً · غزوا كوريا منذ سبعة عشر قرناً ورأوا عمرانها اسمى من عمرانهم فاقتبسوهُ منها · ولرغبتهم في الاستفادة من كل من هو ارقى منهم جعلوا يقتبسون المعارف والصنائع من الصينيين لانهم كانوا ارقى الامم الذين اتصلوا بهم وما كادوا يتصلون بالاوربيين والاميركيين حتى جعلوا يستفيدون منهم ويقتبسون اساليبهم فانهُ لم تمضِ اربع سنوات من حين دخل بلادهم الكومودور بري الاميركي وضربها بمدافعهِ سنة ١٨٦٤ حتى هبوا من سباتهم ووسدوا السلطة للميكادو على البلاد كلها وجعلوا يقتبسون اساليب القتال الاوربية لانهم وجدوها افعل من اساليبهم وكذلك اساليب العمران وفتحوا اول سكة حديدية في بلادهم سنة ١٨٧٢

حادثة واحدة جعلت اليابانيين يستيقظون ويتحدون بعد ان كانوا حزبين متضادين اما الصين فحلَّت بها النوائب والعبَر ولم تستيقظ من سباتها ولا انتبهت من غفلتها فان روسيا اخذت منها ولاية امور وولاية اسوري وبلاد منشوريا كلها وفيها مدينة مكدن حيث مدفن العائلة المالكة · وفرنسا اخذت التنكين وانام وكوشين صين · وانكلترا اخذت برما وهنج كنج وواي هاي واي · والمانيا اخذت شانتنج وفيها قبر كنفوشيوس · واليابان اخذت

فرموسا . وسيام أستقلت عنها بعد ان كانت خاضعة لها. ومع ذلك بقيت الصين على حالها صابرة ساكنة لاتبدي حراكاً كما كانت منذ الفي سنة الى الآن معتمدة على سياستها السابقة سياسة السكون والمسالمة سياسة الاكل والهضم والامتصاص لان كل الذين غزوها من غابر الزمن اكلتهم وهضمتهم وامتصتهم فصاروا منها فهل يعقل انها تلبي دعوة اليابان وتنهض نهضتها وتسلم قيادها لها وهي تحتقرها اكثر مما تحتقر الاوربيين

ثم ان الصين ليست مملكة واحدة ولايشعر شعبها انهم ابناء وطن واحد وان لهم كلمة واحدة تجمعهم وانما هم ولايات مستقلة يجمعها كلها العمل بتعاليم كنفوشيوس فالرابطة الوحيدة بينها التعاليم الدينية والادبية وآداب اللغة

وليس لدولة الصين جنود تحمي بيضتها بل الجنود للولايات خاصة كل ولاية تقيم جنودها لتدافع عنها واذا دنت جنود ولاية من ولاية اخرى اضطربت هذه كأن جيوش دولة اجنبية دنت منها ولو كان المراد جمع جنود الولايتين لمحاربة عدو معادٍ لهما كلتيهما . لما ثار الصينيون على الاجانب سنة ١٨٩١ سمحت حكومة الصين بصعود السفن الحربية الاجنبية في نهر ينتسي لكبح جماح الثائرين ولم تخمد ثورتهم بيدها لكي لاتغيظهم . ولما نشبت الحرب بين الاسطول الياباني والاسطول الصيني كان الاسطول الشمالي من اسطولي الصين يحارب اسطول اليابان واما الاسطول الجنوبي فبقي مكانهُ في البحار الجنوبية كأنهُ لدولة اخرى مع انهُ لو بادر الى نجدة اسطول الشمال لتغلب الاسطولان على اسطول اليابان لانهما اقوى منهُ كثيراً . ثم لما انتهت الحرب طلبت الصين من اليابان ان ترد لها سفينة من السفن التي غنمتها لانها اسرتها خطا وهي من اسطول الجنوب الذي لم يشترك في الحرب

ولاستقلال الولايات بعضها عن بعض يخاطب ملك الصين ولاتها في اوامرهِ الرسمية بصيغة الرأي والمشورة لا بصيغة الامر الواجب الطاعة فاذا راقت في عيونهم عملوا بها والاَّ فلا مراعين في ذلك مصالحهم الخاصة او مصالح ولاياتهم المختلفة واحوالها المالية

فبلاد الصين ليست مملكة واحدة ولا الصينيون امة واحدة بل بين سكان الولايات المختلفة من الاختلاف كما بين سكان اوربا حتى اذا دخل جيش ولاية اخرى عاث فيها فساداً ونهب وسلب كأنهُ في بلاد العدو .

وقد بذل كثيرون من الضباط الاوربيين عنايتهم في تعليم جنود الصين فنون القتال او التعاليم العسكرية الحديثة واتوهم باحدث الاسلحة ولكن لم ينتظم حتى الآن جيش صيني يستحق ان يقابل بالجيوش المنتظمة . ولا تزال الجنود الصينية تتمرَّن على الرماية بالقوس

والنشاب ولا تحسب الفوز في اصابة الغرض بل في وقفة الرامي وقت نزعهِ بالقوس

وقواد الجيش في الصين "مقاولون" يضمنون الجيش بمبلغ معلوم من المال وغاية ما يسعون اليهِ الكسب من هذه المقاولة بتقليل ما ينفقونهُ على الجيش حتى يزيد ربحهم . وتعاليم كنفوشيوس التي لها المقام الاول في نفوسهم تحقر الجنود والجندية فهي مثل تعاليم تولستوي الفيلسوف الروسي الذي قال "ان اول فرض من الفروض الواجبة على الامَّة استئصال الحرب مطلقاً"

وبينا ترى الجمع الغرض الذي يرمي اليهِ ساسة اوربا ترى التفريق الغرض الذي يرمي اليهِ ايمة الصين ففي اوربا مثلاً مصلحة المملكة مفضَّلة على مصلحة الولاية ومصلحة الولاية على مصلحة العائلة واما في الصين فمصلحة الولاية مقدمة على مصلحة المملكة ومصلحة العائلة على مصلحة الولاية فلا وطن ولا اتحاد الاَّ في العيال والجمعيات السرية

ولا يعرف الجنود الوطنية وحب الوطن و لا ينتظمون في الجندية الاَّ مكرهين اومستأجرين وما منهم ومن اكبر قوادهم الاَّ وهو يبيع وطنهُ لكل خاطب . والصيني موصوف بالصدق والامانة حتى ان التجار الذين عاملوا الصينيين يسلمون التاجر الصيني اي مبلغ كان من المال ولا يأخذون عليهِ صكاً لانهم يعلمون ان كلمتهُ صك عليهِ وهم مع ذلك لا يُصدَّقون ولا يؤتمنون في امور المملكة فالصيني امين لعائلتهِ واسمها حتى انهُ يفتديها بنفسهِ وغير امين لمملكتهِ و بالضد منهُ الياباني فانهُ امين لمملكتهِ يضحي نفسهُ وعائلتهُ لها

فالفرق بين الصينيين واليابانيين اعظم من الفرق بين الصينيين والاوربيين والذي يظن ان الاتفاق بين الصينيين واليابانيين ممكن يجهل طباع الامتين

وقد ادرك بسمارك احوال الصين وعلم انهُ لا خطر منها على اوربا فقال قبيل موتهِ لقد قيل ان الصين قد تنهض ويكون منها خطر على اوربا اما انا فلا ارى ذلك ممكناً نظراً لما ظهر من اهاليها من الجمود مدة القرون الماضية

هذه الامور وامثالها تجعل البون شاسعاً بين الصين واليابان وتمنع الصين من ان تكون امة حربية او ان تسلم قيادها لليابان . وقد استنتج الكاتب من ذلك كلهِ ان اتحاد الصين واليابان اتحاداً حربياً ضرب من المحال فلا خوف على اوربا منهما

# حال العالم في الشرق

وهي قصيدة من نظم العالم العامل الاستاذ ابرهيم الحوراني وتخميسها للشاعر المجيد اسعد افندي داغر

يا قلمي ارقمْ ما تُلاقي فمي   عليكَ يمليهِ ونِقسي (١) دمي
وقل لمن بالامر لم يعلم   ذو العلم بين الطرس والمرقم (٢)
كالثبْتِ (٣) بين العضب (٤) واللهذم (٥)
هذاك يقضي العمر دأباً على   إدراكِ علم فيهِ نيل العلى
وذا بَسولٌ ليس يخشى البلى   كلاهما يبغي علاءً ولا
يناله الا بسفك الدم
لديهما لا فرق بينهما   وِرْد الدما عذب كرشف اللمى
يستسهلان الصعب او يغنما   وَالاوَّلُ الاولى بغنمٍ لما
في سعيهِ من شامل المغنمِ
حقًّا بهذا الامر للأَوَّل   مَيزٌ على ذي العضب والمنصلِ (٦)
وإن ترم تفصيلَ ذا المجمل   فكم جرى ذو العلم في مجهلِ
حتى جرى ذوَ الجهل في معلمِ
كم راضَ ربُّ العلم مستصعبا   فردَّهُ يحكي نسيم الصبا
وكم علا في زغرف (٧) مركبا   وكم رعى في مهمهٍ (٨) كوكبا
حتى اهتدى السارون بالانجمِ
إن لزَّهُ ظمءٌ حسا نغبةً (٩)   وذاق من بعد الطوى (١٠) وجبة (١١)
وبعد ما يقضي بهِ اربةً   يجتاب ارجاء العلى رغبةً
في كشف ما في الاطلس (١٢) المظلم
في عرضهِ يرخي عنان النهى   فيبدأُ التجوالَ حيثُ انتهى
وهكذا يجري بهِ الشُّمَّهى (١٣)   طوراً تراهُ في جوار السّهى (١٤)
وتارةً في جيرةِ المرْزمِ (١٥)

---

(١) حبري (٢) القلم (٣) الشجاع (٤) السيف (٥) السنان (٦) السيف
(٧) بحر (٨) مفازة (٩) جرعة (١٠) الجوع (١١) الحالة (١٢) فلك النجوم
(١٣) الى غير امر يعرفهُ (١٤) كوكب خفيٌّ من بنات نعش (١٥) نجم آخر

يتخذ الجوزا نطاقًا ولا    يخاف ملقى رامحٍ اعزلا
وبعد ما يدرك ما امَّلا    يرسم من كيوان (١) خطًّا الى
يوحى (٢) بلا نقس ولا مرسم

معتمدًا في رسمهِ ذوقهُ    وباذلاً في رصدهِ طوقهُ (٣)
يقضي اذا من عمرهِ رَوْقهُ (٤)    مستعلماً أَبعاد ما فوقهُ
وتحتهُ الاقراب لم تعلم

يظل هـذا شانهُ مقدما    على هواه دون ان يسأَما
فكم تولَّى نقض ما أَبرما    وكم هوى في نفنف (٥) بعدما
أَحيا الدجى في ذروة الأَيهم (٦)

كم امتطى نحو العلى يعملا (٧)    ينهب قلب الجوّ مستعجلا
وكم صعاب البحر قد ذلَّلا    وكم جرى في صحصحان الفلا
يشكو الوجى (٨) في الغاسق الاهيم (٩)

فرًّا وكرًّا مدبرٌ مقبلُ    امرًا ونهيًا جازم مبطلُ
ليثًا ورألاً (١٠) مقدمٌ مجفلٌ    يعدو بدغلٍ ما بهِ منزل
الاَّ وجار النمر والضيغمِ (١١)

يغدو ولا يصغي الى منشدِ    ولا يرى للانس من مشهدِ
وهكذا يمسي كما يغتدي    يلقيهِ مغضي الطرف في مرقدِ
ما بين ظفر الليث والمرغم (١٢)

وبعد إلمامٍ بما في السما    وكشفهِ ما كان مستبهما
يهبط جوف الارض مستعلما    يبحث عن آثار عادٍ وما
وارى تراب الارض من جرهم

فكم ثناهُ عنهُ من حائلِ    لهُ الى قطع الرجا آئلِ
وشدّ ما عُلِّلَ بالباطلِ    وطالما ارتد بلا طائلِ
كطالب شهدًا من العلقمِ

---

(١) المشتري (٢) الشمس (٣) طاقتهُ (٤) اولهُ ورونقهُ (٥) مغازةٍ
(٦) الجبل الصعب (٧) جملاً (٨) الوجع من الحفى (٩) اي في الليل الفاسق الذي لا تجوم فيهِ (١٠) ولد النعام (١١) الاسد (١٢) الانف

يعوزني وقت لان اذكرا   تفصيل ما مرَّ بهِ واعترى
مع كل هذا الخوف ما قدَّرا   وما انثنى عن عزمهِ بل جرى
فيهِ يباري الريح في المأزمِ (١)
من يخطب العليا عليهِ يهُنْ   بذلٌ ولولا عزُّها لم يصُنْ
سعي الفتى في مثل هذا حسُنْ   والسعي لا يجدي اذا لم يكن
حلف الثباتِ الحق والمعزم
أَسعد بالمسعى بني جنسهِ   ولم يزل يصلى لظى نحسهِ
هم في نعيم وهو بؤْسهِ   تخالهُ والانس عن انسهِ
تروي كوحش الجن في جيهم (٢)
ريح البلى عاثت بديوانهِ   فصوَّحت (٣) اغصان عمرانهِ
وبات من شدةِ احزانهِ   يجلس في اعراس اخوانهِ
كمثا كلٍ تجلس في مأْتمِ
تنظرهُ يبكي صباح مسا   من دائهِ المعيي جميع الإِسى (٤)
ومن جرى دهرٍ اليهِ أسا   يحكم ان العرس باب الأَسا (٥)
مما رأَى في عرْسهِ الأَشأمِ
هذا على طول المدى شانهُ   وذا بأهل الدهر ايمانهُ
فثقْ بما قد صحَّ تبيانهُ   إِنَّ اختبار المرءِ برهانهُ
فالحق مجلى حكمهِ المبرمِ
داءٌ عياءٌ لستَ تلقى دوا   لهُ وكل الناس فيهِ سوا
جميعهم ضلوا وكلٌّ غوى   والجاهل المغرور عبد الهوى
في حسن ذات البعل والايمِ (٦)
هيهاتِ ان ينشط من ربقة (٧)   للوجد غلَّتهُ على دقَّةِ
فانساق من وادٍ الى برقة   يغازل الحسناءَ في رقَّةِ
يسرقها من كشحها الاهضمِ (٨)
بظلفهِ يسعى الى حتفهِ   وشوقهُ يعجز عن وصفهِ

---

(١) المضيق (٢) موضع كثير الجنّ (٣) ايبست (٤) مقصور الاساء جمع الاسي وهو
(٥) الطبيب الحزن (٦) من لا زوج لها (٨) عروة (٨) الاخمص والضامر

ودائمًا بالرغم عن انفهِ يسحُّ وبل الوجد من طرفهِ
ما لعلع البرق من المبسم
من يأسهِ أَصبح في وهدةِ لعلمهِ ان ليس ذو نجدة
يفيدهُ في دفع ذي الشدةِ ياويحَ من يعلمُ في بلدةِ
فيها كثير المالِ لم يعلمِ
كم خيبت سكانها ظنهُ وغادرتهُ حارقًا سنهُ
كفاهُ فخرًا في الورى انهُ يسقي الورى الظمأى ولكنهُ
اظمأُ من رملٍ ومن غيلمِ (١)
يهدي الالى ضلوا سوى نهجهِ وينزل اللاجي سما برجهِ
وفوق ما ينفقُ في خرجهِ يكسو عراة الحي من نسجهِ
لكنهُ أَعري من المبْرَمِ (٢)
في بيتهِ يسبح احداثهُ في غمر بؤسٍ همُ أرماثهُ (٣)
وان ترم للغزل أَنكاثهُ (٤) تستلزم الدينار أبحاثهُ
وليس في الهميانِ من درهم
قضى بهذا عمرهُ كلَّهُ ولم ينَلْ من دهرهِ سُؤْلَهُ
فليس بدعًا انهُ ملَّهُ قد صارت الحدَّةُ خلقًا لهُ
من نازلاتِ الجذَعِ (٥) الازلمِ (٦)
متنٌ توخَّى الاخذ في شرحهِ نخاف أَن ينكأَ من قرحهِ
وساقهُ هذا الى طرحهِ فبالغ الاحمقُ في جرحهِ
وما لجرح الحمق من بلسم
كم عابهُ فدمٌ (٧) وكم شانهُ غمرٌ (٨) تعدَّى واضعًا شانهُ
واذ عليهِ صبرُهُ خانهُ غطَّى بنبل اللوم جسمانهُ
حتى بدا للطرف كالشيهم (٩)
لم يلقَ ما بين الورى زاجرا لمن عليهِ قد بغى جائرا

---

(١) ذكر السلحفاة
(٢) المغزل
(٣) جمع رمث وهو خشب يضمُّ بعضهُ الى بعضٍ و يركب في البحر
(٤) جمع نِكث وهو ما نقضَ من الاكسية ليغزَل ثانيةً
(٥) الدهر
(٦) الدهر الكثير البلايا
(٧) احمق
(٨) جاهل
(٩) ذكر القنافذ الكثير الشوك

ولا رأى من اهلهِ ناصرا    ولم يجد من صحبهِ عاذرا
فكلهم اضحى من اللوَّمِ

كل الورى قاموا على حربهِ    في مشرق المعمور مع غربهِ
من اجل ذا قبل انقضا نحبهِ    احكم نظم الشعر يشكو بهِ
ما قد رأى في ذا الزمان العمي

مهَّد في تحصيلهِ سبلهُ    حتى سما من قالهُ قبلهُ
فصار هذا دائمًا شغلهُ    واختارهُ سلوى فامسى لهُ
بلوى كبلوى الصعوِ (١) بالقشعم (٢)

فكان نظم الشعر ضغثًا على    ابالةٍ كاهلهُ اثقلا
واذ قلاهُ نظمهُ مغفلا    كلفهُ العافي مديح الالى
ضنُّوا على المسكين بالمطعمِ

لو أنهم كانوا يجيزونهُ    لكان في ذا العصر قارونهُ
قلل معهم كلُّهم دينهُ    وكلفتهُ هند ما دونهُ
لذع اللظى او لدغة الارقم (٣)

كم عللتهُ في مواعيدها    بديمةٍ تنهلُّ من جودها
قامت اخيرًا عند تجديدها    تسألهُ تاريخ مولودها
يوم مسجى (٤) بخلهِ المُكرم

تقول صف خمري بلا مهلةٍ    وقلبهُ صادٍ الى نهلةٍ
يهبط جوف الدلِّ وهي التي    تعلو سرير العاج في حلةٍ
من انفس الديباج في الديلم

تراهُ يشكو السقم من علةٍ    عرى الشفا عن صدرهِ حلَّت
وولدهُ يطوون من خلَّةٍ (٥)    وعرسهُ الثكلى على جُلَّةٍ (٦)
القى بها التمَّارُ (٧) للمُعْدِمِ (٨)

عدا عليها الدهر وهو الخنا    مخيبًا آمالها والمنى
فردَّها بعد اجتناء الهنا    ترقم من مقلتها للضنى

---

(١) العصفور الصغير (٢) النسر (٣) اخبث الحيات (٤) سجى الميت مدَّ عليهِ ثوبًا وغطاهُ بهِ (٥) فقر (٦) قفة كبيرة للتمر (٧) بائع التمر (٨) الفقير

فوق البهار(١) اسطر البَهْرَم(٢)
فحار في ذا الامر ليس الى   قطع بهِ يلقى السبيل انجلي
حتى يراهُ عاجلاً أُشكلا   فإن اتى بالسؤل كان بلا
اجرٍ والاَّ ديس بالمنسم(٢)
بكل انواع الرزايا مُني   وشرها استبعادهُ من دني
ومثل هذي فقرهُ للغني   ذي حالة العالم في موطنٍ
يكوى بهِ ذو الفضل بالميسم(٤)
يبيت حدُّ الظلم في لحمهِ   يفري وداء الغمّ في عظمهِ
يسري وللايغال في ظلمهِ   يركبهُ الجاهل من حلمهِ
والممتطي صنوٌ(٥) لذي المحزم
هذا لعمر الحقِ ربح الذي   يعلم في هذا الزمان وذي
عقبى امرءٍ درَّ الذكاء غُذِي   لو انصف الدهرُ امتطى كل ذي
علمٍ اخا جهلٍ فلم يظلمِ

# الاحتفال بمترجم الالياذة

شهدت القاهرة في منتصف الشهر الماضي مشهداً لم ترَ مثلهُ من قبلُ وهو احتفال نحو مئة نفس من نخبة علمائها وادبائها بمترجم الالياذة بوليمة فاخرة اولموها لهُ في فندق شبرد. فزُيّن مدخل الفندق بالمصابيح الكهربائية المختلفة الالوان وزينت حديقتهُ واشجارها بالشموس والقناديل الكهربائية ومدَّت الموائد في ساحتها وجلس حولها المحتفلون من داعين ومدعوين فتناولوا شهي الطعام ووضع امام كلٍّ منهم بطاقة رسم على وجهها الهرمان وابو الهول شعار مصر وجبل لبنان وارزهُ شعار الشام وشمس المعارف فوقهما يفيض شعاعها عليهما وتحتهما هذه الابيات

حييتَ يا وطناً تصبو القلوب الى   ارجائهِ وبهِ الارواح تغتبطُ
شمس المعارف في علياهُ جامعةٌ   اطرافهُ وهي فيما بينها وسطُ
ففي ذرى الارز حبلٌ من اشعتها   يلقى وحبل على الاهرام ينبسطُ

وداخل البطاقة اسماء الاطعمة بالعربية والفرنسوية. وطلبت لجنة الاحتفال من احد منشئي هذه

---

(١) نبت صفر الورق (٢) الحفاء (٣) خفّ البصير (٤) المكواة (٥) اخ

المجلّة ان ينوب عنها في الترحيب بالمدعوين ووصف العمل الباعث على اقامة الحفلة فوقف بعد انتهاء الطعام وافتتح كلامهُ ملتمساً العذر من الحضور عن التقصير في ايفاء الموضوع حقهُ مستشهداً بعبارة قالها لهُ سماحة السيد توفيق البكري نقيب الاشراف الذي كان جالساً الى جانبهِ وهي قول العرب عن الكلام الغث "هذا كلام بعد طعام او قبل منام" ثم قال

لعلَّ احتفالنا هذا اول احتفال من نوعهِ في ديار المشرق وعسى ان يكون فاتحة حفلات كثيرة تقام اكراماً للعلم واجلالاً لقدرِ ذويهِ

لا اعلم يقيناً على بال مَن خطر هذا الخاطر اول مرة ولكنني واثق ان جميع الحضور رحَّبوا بهِ واشتركوا فيهِ عن طيب نفس لا من حيث علاقتهُ بشخص معيَّن وان كان لهذا الشخص مقام رفيع في نفوسنا ولا من حيث ارتباطهُ بموضوع مخصوص وان كان لهذا الموضوع شأن كبير عند ارباب الاقلام وفحول البلاغة الذين يحلُّون هوميروس اعلى محل بين مصوري الخيال كما يحلون دائرة المعارف المحل الاول بين الموسوعات العربية . بل من حيث دلالتهُ على روح جديدة انبثت في ابناء المشرق وكنا نجهلها او نغض الطرف عنها وهي قدر الفوائد العلمية والادبية قدْرها فان صديقنا الفاضل سليمان افندي البستاني المحتفَل بهِ ليس حديثاً في هذا المضمار بل قد راضهُ منذ اعوام كثيرة فقد اشتغل بالعلم منذ اكثر من ثلاثين سنة وظهرت نفثات يراعهِ في دائرة المعارف قبل ظهورها في الياذة هوميروس . وهو من بيت علم وفضل شيخهُ البستاني الاكبر صاحب محيط المحيط وقطر المحيط والجنان والجنة ودائرة المعارف ومفتاح المصباح وكشف الحجاب وغير ذلك من الكتب المتداولة منشئ المدرسة الوطنية والجمعية السورية صاحب الهمة العالية والعزيمة الماضية الخطيب المصقع والكاتب المتفنن والسياسي المحنَّك . والبستاني الثاني ابنهُ سليم افندي محرر الفصول الضافية في الجنان والدائرة خدن الادب والظرف والفصاحة الذي بخل الدهر علينا بهِ فقصف غصنهُ الرطيب وهو في ريعان الشباب . والبستاني الثالث الاستاذ عبدالله العالم اللغوي والشاعر البدوي . ولكن مَن مِن ابناء المشرق اعترف بفضل هؤُلاء باحتفال عمومي مثل هذا . فليس اللوم عليهم ولا على اعلام القرن الماضي كالاسير والاحدب واليازجي والنقاش وغيرهم من علماء الشام ولا على علماء مصر الذين يعدُّون بالمئات ولهم القدح المعلَّى في كل منظوم ومنثور ومعقول ومنقول أن اهملنا الاحتفال بهم بل اللوم علينا لان عرفان الفضل على هذا السبيل لم يكن معروفاً عندنا . فاهنئك ايها الصديق الفاضل لانك رأيت من اخوانك من يقدر عملك قدرهُ سواء كان في دائرة المعارف او في الياذة هوميروس كما اهنئ الذين خطر لهم هذا الخاطر اولاً لا زال لهم السبق الى كل مفخرة

اما الدائرة فشرع فيها البستاني الاكبر منذ نحو ثلاثين سنة واعدَّ لها المعدات الكثيرة فاصدر منها ستة اجزاء وقُبض الى رحمة ربهِ فتولَّى اصدارها ابنهُ الاكبر سليم افندي ولم يمهلهُ الردى ان اتمَّ جزئين منها فأُلقي هذا العبءُ الثقيل على اخويهِ الصغيرين وعلى ابن عمهما موضوع احتفالنا وكان مشاركاً في العمل من اولهِ فقام بهِ معهما احسن قيام كما تشهد فصول الدائرة

والالياذة شعر يوناني تاريخي من اقدم ما نظمهُ الشعراء واوسع ما افرغوا فيهِ معارفهم موضوعهُ وصف وقائع قليلة من حروب طروادة لكن الشاعر توسع في الوصف وقصِّ الاخبار حتى تُعدَّ قصيدتهُ دائرة لمعارف عصرهِ فقد ذكر فيها طباع الناس وعاداتهم وعباداتهم ومبلغ ما وصلوا اليهِ من العمران · ويظهر منها ان اليونان كانوا في ذلك العصر وما قبلهُ اهل فلاحة وصناعة وتجارة وعلم وفلسفة وقد بلغوا في ذلك كلهِ وفي انشاء الحصون وتعبية الجيوش وبناء البوارج وسن الاحكام مبلغاً لم يفقهم فيهِ الذين تلوهم من اهالي اوربا الاَّ في القرن الماضي ومن المرجح انهُ لم يفقهم احد حتى الآن في النقش وعمل التماثيل وصوغ المعادن

فهي كتاب كبير دقيق البحث كثير التعقيد اطَّلع عليهِ ادباء العرب لما ترجموا كتب اليونان فتهيبوهُ ولم يترجموهُ لا لانهم كرهوا ترجمة القصص او لانهم لم يأْلفوا شيئاً مثلهُ فانهم وضعوا قصة عنترة ووقائعها تشبه وقائع الالياذة واسلوبهما واحد — اساس تاريخي وجيز تناولتهُ قريحة هوميروس في الالياذة وقريحة الاصمعي في قصة عنترة وبنت عليهِ بناء فخيماً · بل يظهر انهم احجموا عن ترجمتهِ لكثرة ما فيهِ من الاعلام الغريبة والمعاني المغلقة او لكثرة ما ذكر فيهِ عن آلهة اليونان وشعائرهم الدينية او لغير ذلك من الاسباب

وظلَّ هوميروس مغلقاً عن ابناء العربيَّة يتمنى ادباؤُهم لو اتيح لاحد منهم ان يزيح الستار عنهُ وينقلهُ الى لغتهم كما نُقل الى اللغات الاوربية او كما نُقل قبلها الى السريانية (لان سليمان افندي حقق نقلهُ اليها) ولكن لم يكن في الامكان ان يتصدَّى لهذا العمل الخطير الاَّ رجل درس اللغة اليونانية لكي يقرأ هوميروس في اصلهِ عارف ببعض اللغات الاوربية الشهيرة ليقرأَ شروحهُ فيها سيال القريحة حتى يسهل عليهِ نظم الالوف من الابيات بليغ العبارة طبعاً حتى يأْتي كلامهُ من طبقة ما ترجمهُ كثير الحفظ واسع الرواية حتى يسهل عليهِ معارضة ابيات هوميروس بما يضارعها من اقوال شعراء العرب شديد الجلد لا يمل من نظم البيت بعد البيت والقصيدة بعد القصيدة سنة بعد سنة وهو في سعة من الوقت حتى يزاول الشعر اذا اطاعهُ ويتركهُ اذا عصاهُ · وغني عن البيان ان هذه الاوصاف اجتمعت كلها في

البستاني فقبض على هوميروس بيديهِ ولم يتركهُ حتى البسهُ حلة عربية

ولو وقف عملهُ عند هذا الحد لكان عظيمًا ومن اعظم الاعمال ولكنهُ لم يقف عندهُ بل تخطاهُ الى ما هو اعظم منهُ فان كثيرًا من معاني هوميروس مغلق وهو يشير الى امور كثيرة لا يفقه معناها الاَّ من لهُ المام واسع بالتاريخ والجغرافيا والميثولوجيا فلا بدَّ لفهم هذا الديوان من شرح مسهب يلم باطرافهِ كلها وهذا فعلهُ البستاني ولم يكتفِ بهِ بل عارض معاني هوميروس بمعاني شعراء العرب ولا سيما عنترة العبسي او ابي سعيد الاصمعي واضع قصة عنترة وبيَّن ان اكثر المعاني التي جاء بها هوميروس وكانت مألوفة عند اليونان كانت مألوفة ايضًا عند العرب في بداوتهم

وقد جاء تعريب الالياذة في نحو الف صفحة ونحو نصفها او ثلثها شرح بحرف دقيق فكانهُ ألَّف كتابًا كبيرًا في شرح جمع فيهِ مئات من الشواهد العربية والتحقيقات العلمية

والبستاني حليف الطمع وما اشرف الطمع الجائز وما امجدهُ وما انفعهُ فان اكثر الاعمال العظيمة نشأت منهُ . فلم يشأ ان يرسل الالياذة بشرحها بتراء من غير مقدمة واي مقدمة . عرَّف احد علماء الانكليز المقدمة بانها الجزء الذي لا يقرأ من الكتاب ولكن صديقنا البستاني وضع للالياذة مقدمة تملأ مئتي صفحة ولا يملُّ القارئ من مطالعتها لما يجدهُ فيها من الفوائد وحسن التنسيق . وهي لا تقلُّ عن مقدمة ابن خلدون في تعدد مواضيعها وبلاغة عبارتها وكثرة فوائدها . ونسبتها الى مقدمة ابن خلدون من حيث دقة البحث نسبة العلم في هذا العصر اليهِ في عصر ابن خلدون . وهي مثلها ايضًا في متانة العبارة حتى يصح ان تكون انموذجًا للانشاء البليغ . وقد شغلت مئتي صفحة وخالف الكاتب فيها اساليب المقدمات فقسمها الى فصول عديدة حتى يرغب المطالع في مطالعتها ولا يملها كما يملُّ قراءة المقدمات التي لا فصل فيها

هذه المقدمة ديوان ادب وعلم افرغ فيها المؤلف نتيجة درسهِ وبحثهِ السنين الطوال وفي احتفالنا بنشر هذا الكتاب نحتفل بنشر ثلاثة كتب كبيرة الديوان المنتظم والشرح المنسجم والمقدمة الشاملة ثلاثة كتب في كتاب واحد يملأ نحو ١١٥٠ صفحة يضاف اليها اكثر من مئة صفحة فهارس ومعاجم استغرقت تعبًا كثيرًا لكن المؤلف فضَّل ان يتعب مرةً ولا يتعب كل قارئ من قرَّاء كتابهِ مرارًا فلهُ الشكر الجزيل على كل حال

وخلاصة القول اننا باحتفالنا هذا قد اعربنا نحن وحضرات الفضلاء الذين تكرموا وقبلوا دعوتنا عن رغبة في اكرام الادب وقدر اربابهِ قدْرهم وانني واثق ان صديقنا البستاني مسرور مثلنا لا من حيث تخصيصنا هذا الاكرام بهِ لانهُ ابعد الناس عن حب الظهور بل من حيث

اكرام عملهِ لانهُ يستحق الاكرام . فاهنئك ايها الصديق الفاضل بما حزتهُ عن استحقاق تام من اكرام اخوانك لك . اهنئك بالنيابة عن الذين اقاموا لك هذا الاحتفال كما اهنئك بالاصالة عن نفسي . واكرر تقديم الشكر الجزيل لكم ايها السادة الافاضل الذين تكرموا بقبول دعوتنا لا زلتم في مقدمة هداة الامة ونصراء الفضيلة . واسمحوا لي في الختام ان اشكركم وسائر السادة الحضور لانكم اكرمتموني باصغائكم الى هذه الكليمات وان كنت قد قصَّرت في الوصف والاعراب عن ضميري فاللوم على الذين اطعموني قبلما انتدبوني للكلام فجاء كلامي "بعد الطعام وقبل المنام"

ولما فرغ من الكلام وقف حضرة عبد الخالق بك ثروت وتلا كتاباً بعث بهِ فضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ورئيس جمعية احياء العلوم العربية وهذه صورتهُ

دعاني اصدقاؤُك واصدقائي الى الانس بك ساعة تهنئتك بالنجاح في ذلك العمل الادبي الذي كلفت بابداعهِ عدة من السنين . دعوني الى الاشتراك معهم في شكرك لما دأبت في السعي واخذت نفسك بالصبر على مشقة البحث والعناء في اختيار مسالك النظم لتهدي الى ابناء لغتك العربية من احاسن الصناعة الادبية ما يعد زينة للناظرين

وكنت اكون اسرع الناس الى اجابة الدعوة لولا مانعٌ ذنبهُ اليَّ ذنب العاذل الى عاشق الحسان منعني الانس بك ولكن لم يمنعني ان اشاركهم في شكرك

تمت لك ترجمة الالياذة لنابغة شعراء اليونان هميروس المشهور نسجت قريحتك ديباجة ذلك الكتاب كتاب الترجمة فاذا هو ميدان غزت فيهِ لغتنا العربية ضريعتها اليونانية فسبت خرائدها وغنمت فرائدها وعادت الينا في حلل من آدابها تحمل الى الالباب قوتاً من لبابها وما اجمل ذلك الغلب في زمن ضعف فيهِ العرب حتى عن الرغب في نيل الادب ما ينال منهُ عن كثب فضلاً عما يكسب بالتعب . فحق لك الشكر على كل من يعرف قيمة ما وفقت لاكمالهِ من العمل فقد سددت ثلمة كانت في بنية العلم العربي من عشرة قرون اغار قومنا على دفائن الفنون اليونانية في القرن الثالث من الهجرة وما بعده فنثروا منها ما كان مخزوناً ونشروا بين الناس ما كان مدفوناً ولم يدعوا غامضاً الاَّ جلوه ولا بعيداً الاَّ قربوه ونالت اللغة العربية بصنيعهم ذلك ما لم يكن في حسبانها فقد صارت لسان العلم والصنعة كما كانت لسان الدين والحكمة

لكن كأن اولئك الاساطين الاولين كانوا يرون ان ذلك ما يفرضهُ الحق عليهم في جانب العلم الذي لا يختلف فيهِ مشرق عن مغرب ولا يتخالف على حقائقهِ الاعجم والمعرب وظنوا ان ما وراء العلم من آداب القوم ليس مما يتناسب مع آدابهم لبعد ما بين انساب اولئك وانسابهم فلم يمدوا نظرهم الى ما كان في اليونانية من دواوين الشعراء وما صاغتهُ قرائح البلغاء فلم تنل

اليونانية من عنايتهم مانالت الفارسية والهنديَّة وكان مؤمل اللغة منهم ان لايحرموها نفائس ما اخترع اليونانيون كما زينوها بزينة ما ابدع الهنديون والفارسيون وبقي ذلك المؤمل في غيب الدهر حتى اتيت ترفع عنهُ الستر وجئت تقول للناس انني اتمّ في دولة عباس مانقص في ملك بني العباس فما اقرّ عين العربية بنيل طلبتها وظهور ماكان منتظرًا لشيعتها ارجو ان ينال كتابك من الاقبال عليهِ والانتفاع بهِ ما يكافئ تعبك ويبعث همم العالمين على ان تتبعك والسلام

ووقف بعدهُ حضرة فريد بك بازوغلي فقرأ تلغرافًا من حضرة الدكتور ابوستوليدس مترجم الالياذة من اليونانية القديمة الى اليونانية الحديثة يثني فيهِ على حضرة مترجمها الى العربية ويعتذر الى اللجنة عن عدم حضورهِ من الاسكندرية . وتلاهُ حضرة داود بك عمون فقرأ كتابًا من حضرة الدكتور شبلي شميل يعتذر فيهِ عن الحضور بانحراف صحتهِ ويهنئ المحتفلين باجتماعهم لاسمى غاية اجتماعية وهي الاعتراف بالفضل الصحيح وهنأ موضوع الاحتفال بخروجهِ من ترجمة الالياذة غانمًا . وقرأ بعده حضرة محمد افندي مسعود من محرري المؤيد كتابًا من سعادة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد يثني فيهِ على موضوع الاحتفال بسبب خدمتهِ "للغة العربية بل العلوم والآداب" وعلى المحتفلين "لوضعهم الشيء في محلهِ" ويعتذر عن عدم حضوره بغيابهِ في الاسكندرية

ثم وقف حضرة السيد رشيد رضا منشىء مجلة المنار وخطب خطبة بليغة شرح فيها الاسباب التي منعت العرب من ترجمة الالياذة في زمانهم وابان موافقة ترجمتها الى العربية في هذا الزمان . وتلاه حضرة اخنوخ افندي فانوس المحامي بخطبة انيقة ابان فيها فضل القوى الادبية حتى تخلص الى مدح مترجم الالياذة على قضائهِ زهرة العمر في اتحاف ابناء اللغة العربية بابلغ شعر عند الامة اليونانية غير طامع من وراء ذلك بمال ولا نوال . وقام بعده حضرة ابرهيم بك رمزي صاحب التمدن فبين فضل اليونان وعلومهم . وانتصب مترجم الالياذة فخطب الخطبة التالية

ايها السادة الكرام

قد ساقني فضلكم الى الوقوف في هذا الموقف وكل كلمة بل كل اشارة بل كل نظرة في هذه الهيئة المؤلفة من حضرة رجال الفضل والنبل تخولني من المنة ما يوقفني عاجزًا عن اداء واجب الشكر فاراني مضطرًّا تجاه ما تكرم بهِ من الاطراء بلغاء الخطباء الحاضرين وما تفضل بهِ كتابة الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية وسائر العلماء الاعلام الغائبين ان الوذ بالصمت مفتخرًا ومعترفًا انني انما كنت كمرآةٍ انعكست لهم فيها صفاتهم الغراء فمثلوها تمثيلاً

ولو ساغ لي ان افاخر بعمل من الاعمال لكان محط فخاري عملاً لم تمدَّ اليهِ يدي ولم يكن

قط ليجول في خاطري ولكنهُ من جميل صنعكم ألا وهو عقد هذا الاجتماع . ولست ادري من اخصّ بالثناء فما ارى فيكم الاَّ الصديق الحميم الذي يعمل لصديقهِ اضعاف ما يعمل لنفسهِ والعالم الكريم الذي يعظم ذرّة الاجتهاد من كلّ مجتهدٍ سواهُ وهو لا يبالي بما انفق من اعوام الحياة خدمة للعالم . والاديب الشاعر والناثر الحكيم اللذين يطربان لكل نغمة جديدة من اغاني الأَدب وان لم تكن شيئًا مذكورًا ازاء ما تجود بهِ قريحة كلٍّ منهما

فجميع اخواني السوريين بالفضل سواءٌ فما هي الاَّ غيرة متقدة في افئدتهم فقيض الله ان تتجه الى هذا العاجز واما كرام المصريين فقد زادوا على تلك الغيرة وذلك الاحسان الفطري فيهم كرم الموازرة وما هي بالمرّة الاولى التي صافحت بها مصر شقيقتها سوريا ومدَّت اليها ذراع الحب والولاء فتعاونتا على اعلاء شأن الادب والادباء

سادتي قد عرف الذين قرأُوا تعريب الالياذة منكم اني اجهدت النفس بالمقارنات والمقابلات بين آداب العرب واليونان وما يتبع ذلك من معارف الامتين وتاريخهما واخلاقهما فأْذنوا لي ان احذو هذا الحذو بكلمة في المقابلة بين الالياذة وهذا المجلس الحافل

ان بروز الالياذة بحلة عربية انما هو نتاج اوقات فراغ تيسرت لطالب علم شغف بمحاسنها فلازمها ملازمة العاشق للمعشوق ومهما يكن من كدّهِ ونصبهِ فقد نال اجرهُ بما سرَّح النظر في عالم الحقيقة وروض النفس في رياض الخيال وما جلا من صدإِ الهموم المتزاحمة على افئدة المشتغلين بالادب في مثل هذا الزمن . ويربو على كل ذلك اقبالكم هذا فاي جزاء اثمن من هذا الجزاء

واما اجتماعنا هذا فمؤداهُ اسمى ومفادهُ اعظم وقبل النظر في حقيقة معناهُ استأْذنكم ايراد شاهدٍ من الالياذة على سبيل التفكيه

قال بعض المحبين ليست الولائم مما يكافأُ بهِ عامل على عملهِ . ولكن هوميروس سبق فاثبت فساد هذا القول فكأَن الخلان الداعين الى هذا المجلس استوحوا روحهُ اقتداءً بهِ في الاستحياء وحسبي ان اوجه نظركم الى كلمة وليمة في معجم الالياذة فترون انها كانت المفخرة التي يسعى اليها الملوك والعظماء من قبل عهد هوميروس عند اليونان ثم عند العرب وانهُ كان لها عند الفريقين معنى سام يتسابق القوم اليهِ و يغبطون عليهِ

قلت ان مفاد هذا الاجتماع بالنظر الى الأَدب اسمى من بروز الالياذة . وذلك لانهُ نتاج روح حياة جديدة تسربت في عروق ابناء اللغة العربية فهبّوا هبَّة يحيونها تحية اللقاء بعد الهجر وهم جميعًا راغبون في الحياة الحقة وعالمون ان حياة اللغة انما هي حياة الامة فلا

بقاء للغة الا بامتها ولا بقاء لامة الاَّ بلغتها

ولا شك ان نشوء الالياذة العربية كان في طالع ميمون والا فما تسنى لها ان تفتخر باقبالكم عليها هذا الاقبال . فكم من فاضل منكم وممن تقدمنا في هذا القرن وقف عمرهُ على خدمة الادب فكان اولى من صاحب الالياذة هذا بهذا الانعطاف من لدنكم . او لا ترون بين الحضور رهطاً ونعم الرهط ممن اكتهل وشاب بين الاقلام والمحابر فاستمد معرب الالياذة وامثالهُ مما سطروا وحبروا ما لا يقوم بثمن فكانوا اولى منهُ بمثل هذه الحفلة الزاهرة فان تكن اذا للالياذة مزيَّة على ما تقدمها من النفائس فما تلك المزية الا قبس من نوركم اذ حثها الحظ فنشأت وجرثومة الادب مختمرة في الصدور بعد ان كمنت دهراً فرحبتم بها وقدرتموها فوق قدرها تنشيطاً لامثال معربها واعلاناً للملإ ان هذه اللغة لا تزال في نضارة صباها وان تقادم عليها العهد وان شأنها سيظل على سموه او يزيد فمثلها مثل زهرة هوميروس لا يزيدها كرور الايام الا بهاء وجمالاً

تلك ايها السادة احدى حسنات هذا الاجتماع . ولكن هناك حسنة أُخرى وليست بالحسنة الصغرى ألا وهي شعور المصري والسوري انهما شريكان متضامنان في اللغة التي نشأا فيها وأن لا سبيل الى فسخ هذه الشركة ما نبض فيهما عرق فاذا افلح احدهما في تجارتهِ فالربح للشريكين واذا قضي عليهما لا سمح الله بالافلاس فلا يفلسان الاَّ معاً . عمد محمد علي الكبير الى انشاء المدارس فوضع لخلفائهِ اساساً متيناً وتخرج الطلبة فساروا في اللغة شوطاً مذكوراً أفكانت فائدة تلك المساعي محصورة في ابناء مصر او لم يجنِ اخوانهم السوريون من ثمارها ما لا يزالون يذكرون حلو طعمهِ

هب السوريون في منتصف القرن الماضي فورد فريق منهم مناهل العلم والادب فهل كان لهم ان يستأثروا بها او لم تكن كل خطوة تخطوها احدى الشقيقتين تعقبها بها الاخرى او تسيران معاً متعاضدتين متكاتفتين كأنهما توأمان متلاصقان لا ينفصلان وبهما حياة

يقول الحكماء لا وطن للعلم فحيثما حل فهو الضيف الكريم ثم لا يلبث ان يبيت الوطني المقيم فاذا غرس الغربي غرساً فللشرقي ان يجني ثمارهُ ويكفيهِ ان ينهض فيمد يدهُ الى ذلك الغرس او يتخذ منهُ فسيلة يلقيها في ارضهِ وينيلها بعض العناء فتثمر رطباً جنياً وكل بلاد الله صالحة لاستثمارهِ

واما الادب فلا يصح فيهِ هذا القول على اطلاقهِ وكلما تباعدت الالسنة اختلت فيهِ شرائط الارتباط فمصر وسوريا متصلتان مع سائر اقطار العالم بشركة العلم اذا شاءتا . ولكن

بينهما صلة خاصة لا قبل لهما بفصم عراها وان ارادتا . واذا لم يكن هنا موضع النظر في الجو وصفائهِ والجوار وحقوقهِ والمشارب والاخلاق وطرق المعيشة فهل لنا ان نغفل النظر الى اللغة وهي العروة الوثقى . كل ذلك يقضي عليهما ان تتناسبا بالادب وهو خير النسب اذ كل رابطة اقرب الى الانحلال من رابطة اللغة وكل نسب اقرب الى الاختلال من نسب الفضل والادب على حد قول الشريف الرضي في رثاء الصابي

الفضل ناسب بيننا اذ لم يكن    شرفي مناسبهُ ولا ميلادي
ان لم تكن من اسرتي وعشيرتي    فلانت اعلقهم يدا بودادي

سادتي لو احصينا المتكلمين بالعربية لالفيناهم لا يقلون عن المتكلمين بكثير من لغات الغرب المتمدن ولو قسنا ساحة بلادهم لوسعت بلاد دول شتى من دول عالم العمران . فاللغة اذًا حية بخلاف ما يزعم بعض الغلاة . وان جميع هذه البلاد متكافلة تكافلاً طبيعيًا بنهضة الادب ولكنهُ لا بد من موردٍ عامّ تمتد منهُ الجداول العذبة الى سائر الاطراف . وليس في زمننا هذا اجدر بانشاء هذا المورد من هذه الديار المصرية فاننا في زمن يقظة وتقدم فهي الفرصة المثلى والحكيم من انتهز الفرص ولا اخالكم الاّ جيشًا عاملاً متطلعًا الى هذه الغاية وعالمًا ان هذا هو زمن اندفاع الافكار بتيار الاجتهاد وان هذا التيار اذا اندفع بقوم اندفاعًا حقيقيًا فضّ السدود وتجاوز الحواجز فان ابناء العربية قد علموا ان لا معين لهم غير انفسهم على بلوغ امنيتهم منها فاذا اخلصوا النية وهم مخلصوها باذن الله فلا حائل يصدهم عن النهوض بها . ولا شك انهم اعادوا الكرَّة في هذه الآونة المتأخرة فوثبوا بها وثبة جديدة فعسى ان يستمر هذا الوثوب وسيستمر ان شاء الله بفضلكم حتى يسوغ لنا ان نقول

نبني كما كانت اوائلنا    تبني ونفعل مثلما فعلوا

ووقف بعدهُ سعادة شكور باشا فخطب بالفرنسوية واثنى على مترجم الالياذة بلسان حال "مصر امّ التمدن ومصدر الوحي الذي هبط على شعراء اليونان منذ قديم الزمان . مصر التي لا يعتور صباها ضعف ولا هرم مهما طال عليها القدم . مصر اخت المودة والضيافة والجود والكرم"

وتلاهُ المسيو بوفوداس رئيس المدرسة العبيدية بخطبة فرنسوية والاستاذ افرونينائس بخطبة يونانية . وانصرف الداعون والمدعوون وهم مجمعون على مدح تلك الحفلة الادبية ويودون لو كانت فاتحة لامثالها شدًّا لازر رجال العلم والفضل وتشويقًا الى الاشتغال بالعلم والاداب ويشكرون صاحب هذه الفكرة ورئيس اللجنة التي نظمت هذه الحفلة عبد الله بك صفير وسائر الذين شاركوهُ فيها من اعضاء اللجنة

# اخلاق عرب السودان وعاداتهم وخرافاتهم

## من كتاب تاريخ السودان

**اوصافهم الخلقية** لعرب السودان الاوصاف الخلقية المشهورة للعرب في كل زمان ومكان الاَّ انهم اشد سمرة واقسى شعرًا من عرب الشام ومصر لشدة حرارة بلادهم وكثرة تسريهم من النوبة والسود ٠ واما نساؤهم فيغلب فيهن اللون القمحي او اللون الضارب الى الصفرة كلون تمثال الملكة «آمن ريتس» الايثيوبية في متحف الاثار المصرية بالجيزة

**التشليخ** ثم ان الشايقية والجعليين والعابدلاب من حضر العرب يشلخون وجوههم بقصد الزينة ولكل قبيلة منهم شلوخ معلومة فللشايقية ثلاثة شلوخ افقية على كل خد وللجعليين ثلاثة شلوخ عمودية على كل خد وللعابدلاَّب على كل خد ثلاثة شلوخ عمودية تحتها شلخ افقي يسمى بالعارض ومن كان وجههُ عريضاً جعلوا لهُ على كل خد اربعة شلوخ بدل الثلاثة والمراة التي لا يعيش لها اولاد تشلخ وجناتهم ايضاً شلوخاً دقيقة كرجل الطير ٠ ومن القبائل التي تتبع هذه العادة فتقلد بها القبائل الثلاث المذكورة : النوبة البرابرة واهل بربر من الحضر والشكرية والضبانية والكبابيش من البادية ٠ اما زمن التشليخ فهو زمن الطفولية للذكور والاناث غير ان الذكور قد لا تُشلخ وجوههم واما الاناث فلا بدَّ من تشليخ وجوههنَّ اذ الشلوخ في الوجه والوشم في الفم معدودة عندهم من الجمال

« فالشاب الجميل » في عرفهم هو من كان مربوع القامة قمحي اللون واسع الصدر مجدول الخصر والذراعين طويل العنق منخفض الكتفين مشلخ الخدين صقيل الانف افلج الثنايا ادعج العينين مفتوح الحاجبين باسم الثغر نير الوجه شريف الخصال

« والمرأة الجميلة » هي من كانت مربوعة القامة مع الميل الى الطول صفراء اللون طويلة الشعر غزيرتهُ واسعة الجبين زجاء الحاجبين دعجاء العينين سادلة الاهداب قنياء الانف مع الميل الى التحدب لا كبيرة الفم ولا صغيرتهُ عريضة الشفقة السفلى موشومتها وموشومة اللثة مفلجة الاسنان بيضاءها مشلخة الخدين محفوصة الذقن طويلة العنق منخفضة الكتفين واسعة الصدر ناهدة الثديين رقيقة الخصر قصيرة الظهر مجدولة الساعد والساق رقيقة الاصابع بارزة الردفين مجموعتهما صغيرة القدم رشيقة الحركة لينة الاعطاف اذا رقصت انثنت الى الوراء حتى يصل رأسها الى قدميها واذا مشت تمايلت كالغصن اذا حرَّكهُ النسيم خفيفة الروح باسمة الثغر طلقة المحيا مصونة الحجاب جميلة الحركة اقبلت أو ادبرت

واجمل نساء السودان نساء الجزيرة روي لي بعض الادباء ان فقيهاً من اهل كردوفان يسمى عبد العزيز سمع بكرم الزبير في بحر الغزال فقصدهُ يريد منهُ نوالاً فأمر لهُ الزبير بجارية فلم تعجبهُ وقال " اني قصدتك لجارية عنقها طويل وردفها ثقيل وشعرها غزير وبطنها ضمير وسنها كالجير وعينها كتبّ الغدير اذا مشت كأنها امير واذا وقفت تعجب هذا الفقير " واشار الى نفسهِ . فقال لهُ الزبير " عليَّ الطلاق ان هذه الصفات لا توجد حتى في بنات الجزيرة " ثم نادى احد غلمانهِ وقال ائتوهُ بزيتونة فأتوهُ بها وكانت جارية جميلة فأعجبتهُ فقال " قبلت زيتونة الصادقة المامونة اللهمَّ اجعلها كزليخة المفتونة " فقال الزبير خذها وخذ الاولى جارية لها فازداد عبد العزيز طمعاً بكرم الزبير وكان بيدهِ ركوة ( ابريق ماء من جلد ) فقال وهذه الركوة من يحملها لي فدعا الزبير احد عبيدهِ وقال احمل هذه الركوة لسيدك فحملها وذهب الفقيه بالثلاثة شاكرًا مسرورًا

**اخلاقهم** اما اخلاق عرب السودان فهي ايضاً الاخلاق المشهورة للعرب في كل زمان ومكان وهي حب الضيافة والكرم والمروءة والشهامة وحب الغزو والنجدة والأخذ بالثار ومراعاة الجار واحترام العرض والافتخار بالنسب ولكنهم اكتسبوا من جيرانهم السود العناد واحتقار الموت والصبر على مضض الايام مع شيء من بلادة الطبع

ومن غريب اخلاقهم انهُ اذا اتى الجدب واشتد الجوع اغلق الواحد منهم بابهُ على نفسهِ واولادهِ وانتظر الموت جوعاً ولم يسأل احداً خوفاً من التعيير بذل السؤال . والمريض مهما اشتدَّ المهُ لا ينطق بكلمة تدلّ على تألمهِ . وكذلك المضروب لا يبدي اقل توجع مهما اشتد عليهِ الضرب . والمسوق الى القتل لا يبدي اقل جزع او خوف . واذا أظهر المريض اقل تألم او المضروب اقل توجع او المسوق الى القتل اقل جزع او خوف عيَّروهُ وعيروا اولادهُ من بعدهِ الى منتهى الذرّية . ومن هذا القبيل انهُ اذا كان احدهم سائرًا في الطريق وحدثت خلفهُ ضوضاء فلا يلتفت برأسهِ الى الوراء كمن ذُعر ليرى ما الخبر بل يتحول بجميع جسمهِ دفعة واحد واذا تعرض لهُ كلب فنهشهُ من الوراء فلا يردهُ عن نفسهِ بل يصبر على نهشهِ حتى تراهُ المارّة فتردهُ عنهُ

ومن اكبر العيوب عندهم الفرار من القتل فاذا ارتكب احدهم جناية تستوجب القتل وقف في مكانهِ ينتظرهُ بالتسليم وكامل الصبر . من ذلك ما روي ان رجلاً من الضباينة يدعى عبد الرسول كان متزوجاً بامرأة يحبها جدًّا وهي تكره احد اخوالهِ فأوغرت صدرهُ عليهِ فاخذ خنجرهُ وقصد خالهُ فوجدهُ يحلب بقرتهُ فشرع في طعنهِ بالخنجر حتى قتلهُ فامسك برجلهِ اذ

ذاك ومكث ينتظر القتل فحضر اخوة القتيل وبكوهُ ولم يتعرضوا لابن اختهم اذ من العار عندهم ان يثأر الرجل من ابن اختهِ او يمسهُ بسوء فلما حضرت اختهم والدة عبد الرسول صاحت وولولت وحثت التراب على رأسها حزنًا على اخيها ونادت بابنها قائلةً ان كنت ابني وابن ابيك فلا تعش بعد قتل خالك فقال عبد الرسول لاخوالهِ اقتلوني بثار اخيكم ولما أبوا اخذ خنجرهُ وطعن بهِ نفسه فوقع ميتًا الى جانب خالهِ فهزَّت امهُ يدها فوقهُ ارتياحًا وقالت حقًّا انك ابني وابن ابيك ثم حملوا القتيلين ودفنوهما في حفرة واحدة . قلت وهذا الخلق اي عدم الفرار من القتل مرويٌّ عن الايثيوبيين القدماء كما سيجيء في التاريخ

هذا ومن المعايب عندهم الفرار من ساحة القتال جبنًا او خوفًا فاذا دخل فارسهم ساحة القتال فقتل فرسهُ وانكسر قومهُ فهو لا يقاتل مستقتلاً كمن وقع في فشل او ذعر من الخوف بل يفترش فروتهُ ويجلس عليها الى ان يأتي العدو فيقتلهُ او يأسرهُ وهذا الخلق انما نراهُ في عرب النيل وشرق السودان وامثلتهُ في التاريخ كثيرة اما عرب غربي السودان ففارسهم يقاتل حتى يقتل او يفر

ومما هو مشهور من اخلاقهم فيدل على النجدة واحترام العرض انهُ اذا قصدت امرأة سيدًا منهم فكشفت عن رأسها وتشفعت لهُ بأمرٍ وجب عليهِ قضاء ذلك الامر او بذل اقصى الجهد في قضائهِ مهما كلفهُ ذلك من المشقة والعناء

ومما يدلُّ على حبهم للضيافة ان لهم في كل بلدة منزلاً خاصًا بالضيوف يسمونهُ «الخلوة» فاذا نزل فيها ضيوف طبخت كل ربة بيت طعامًا وارسلتهُ اليهم وذهب الرجال للترحيب بهم وتناول الطعام معهم. ذلك في الجزيرة وشرق السودان واما في غرب السودان فكل منزل معدٌّ لقبول الضيوف واقرائهم من طعامهِ الخاص كثروا اوقلوا

وهم يتبارون في افراحهم على الخيل أو الهجن وبرفع السيف بالاصابع الثلاث الاولى وذلك بوضع قبضتهِ بين السبابة والوسطى والضغط على رأسها بالابهام ورفع السيف افقيًا . وترى لهم في ساحة كل بلد حجرًا يعرف بحجر الصبيان يتناظر الشبان في رفعهِ بكلتا اليدين الى الصدر او الكتف او فوق الرأس ونحو ذلك من المناظرات الرائجة في مصر والشام

﴿ **البطان** ﴾ ومن اشهر عاداتهم التي اصبحت خلقًا لهم عادة "البطان" وهي من نوع الدوالو عند الافرنج فاذا تنافر شابان لسبب من الاسباب طلب احدهما الآخر للبطان فان ابى عدَّ جبانًا ورفضت البنات زواجهُ واذا رضي اخذ كل منهما سوطًا وعمدا الى عنقريب ( سرير ) جعلوهُ بينهما ووقف الواحد تجاه الآخر ثم خلع كل منهما ثوبهُ وتجرَّد الى وسطهِ واجتمع الناس للشهادة فيبدأُ احدهما بجلد الآخر سوطًا على ظهرهِ ثم يصبر فيجلدهُ رفيقهُ سوطًا

وهكذا يتناوبان ضرب السياط وهما لا يتحركان من مكانيهما بل لا يحركان كتفاً او جفناً الى ان يقع احدهما من شدة الضرب فيحملهُ اقاربهُ الى بيتهِ فيزورهُ مصارعهُ ويصالحهُ . وهي عوائد العامة فلا تشترك فيها الخاصة ثم هي محصورة في اولاد ابي مرخة دون غيرهم من عرب السودان ولكن تناول رقيقهم هذه العادة ففاقهم فيها . واهمّ اسبابها النساء فاذا احب شاب فتاة فزاحمهُ آخر عليها طلبهُ للبطان واخذها الغالب

وقد يكون البطان لمجرد المباهاة بالقوة والجلد على الضرب فيدخل فيهِ اذ ذاك اكثر من اثنين ويكون على ضرب الدلوكة فكل من اراد البطان يأتي الى النساء اللواتي يضربنَ الدلوكة فيهز سوطهُ فوق رؤوسهنّ ويقول " ابشرنَ بالخير انا اخو البنات عشرة " ويقف الكل صفاً واحداً ثم يبرز احدهم فيضرب كل من في الصف سوطاً ويرمي السوط ويعود الى الصف فيبرز آخر فيتناول السوط ويفعل فعل الاول وهكذا حتى يأخذ كل منهم نصيبهُ ضارباً ومضروباً

واذا اعجبت فتاة بشاب من الحضور ووقع حبهُ في قلبها نزعت من معصمها سواراً والبستهُ اياهُ فيأخذ الشاب اذ ذاك سوطهُ ويهزهُ فوق رأسها ويقول " ابشري بالخير أنا اخو البنات عشرة " فاذا كان لهُ بين الحضور مناظر في حب الفتاة ورأى سوارها في يدهِ انبرى لهُ وطلب مبارزتهُ فيقف لهُ حامل السوار واضعاً يدهُ اليمنى فوق رأسهِ فيجلدهُ بسوطهِ الى ان يكلّ فيرمي السوط فيجلدهُ حامل السوار في نوبتهِ بما اعطي من القوَّة ويقف المضروب في حالة الضرب جامداً لا يتحرَّك ولا يطرف لهُ جفن كأنهُ صخر اصمّ ومن بدت عليهِ ظواهر التألم بل من بدت منهُ اقل حركة كهز الكتف او طرف الجفن لبس العار ولم يعد لهُ من البنات نصيب

واذا أحب شاب فتاة ولحظ من احد الحضور ميلاً اليها تأخذهُ الغيرة فيستل سكينهُ من ذراعهِ ويأتي الى حبيبتهِ ويهز السكين فوق رأسها وينادي « ابشري بالخير انا اخو البنات عشرة » ثم يشرع في تشريط ذراعهِ وصدرهِ الى ان يلطخ رأسها وثيابها بالدم فيأتي احد الحضور ويمنعهُ من ذلك ويأخذ النساء من دمهِ فيلطخن بهِ جبين حبيبتهِ وهي تتمايل تيهاً ودلالاً معجبة باستهلاك حبيبها في حبها فتصدقهُ الحب ولا تعود تلتفت الى أحد سواهُ . وقد رأيت كثيراً من الشبان مجرحي السواعد والصدور بسبب هذا الحب البربري * قيل وعشاق البادية لا يأكلون لحم الغزلان لانهم يشبهون حبيباتهم بها فلا يطيقون ذبحها او تعذيبها واذا راوا غزالة في يد صياد افتدوها بالمال واطلقوا سراحها . وفارسهم يتكنَّى باسم حبيبتهِ ويتباهى بحبها وعند اللقاء في الحرب يقتحم غمرات الموت بجوادهِ وسيفهُ مسلول في يدهِ وهو ينادي " لعيني فلانة " على ما هو مشهور عند اهل بادية الشام

**﴿ طبهم ﴾** وطبهم عرفيّ يتوارثهُ الخلف عن السلف فاذا مرض احدهم زارهُ اهلهُ وجيرانهُ ووصف لهُ كل منهم علاجاً فيتخذ المريض العلاج الذي يظنهُ انفع لهُ وقد تقدم لنا ذكر اشهر الامراض الخاصة بالسودان وطرق معالجتها عندهم ونذكر تحت هذا الباب علاجهم للجروح وذلك انهم يصبون عليها السمن مغلًى ثم يغمسون قطنة في السمن البارد ويضعونها عليهِ ويربطونها ويكررون ذلك كل يوم مع مراعاة النظافة التامة الى ان تبرأَ . هذا في الجروح البليغة . واما الجروح الخفيفة فيعالجونها برشها بالملح او البارود او البن ثم بالقطنة والسمن البارد . وتشفى الجروح بسرعة لا تكاد تصدق . واذا شكا عليلهم ثقلاً في رأسهِ وعينيهِ طلب الحجام فحجمهُ في نقرتهِ او في قمة رأسهِ . واهم شرباتهم شربة السمن وهي مقدار رطل مصري من السمن يسخن ويشرب على الريق ومنهم من يكرر ذلك خمسة ايام متوالية ولا يشربون ماءً بارداً معها لئلا تولد زحيراً . وشربة السنامكي يشرب منقوعها مع منقوع التمر الهندي والسكر . وفي جزيرة مغرات تراب معدني يعرف بالجردقة يعالجون بمنقوعهِ المغص ووجع المعدة والامعاء ويمزجون التربية بالبوزة والمقويات ويعالجون بها داء الزهري . واشهر مقوياتهم مزيج مركب من العسل والسمن والثوم والبلح علي هذه الصورة : تغلى ثلاثة ارطال عسلاً الى ان ترغو فيضاف اليها ثلاثة ارطال سمناً بقرياً ويغلى المزيج ثم يجعل فيهِ نصف رطل ثوماً بعد تقشيرهِ ويغلى الى ان يحمر الثوم فيخرج منهُ ويعوض عنهُ بنحو ١٥٠ بلحة من البلح الابريمي بعد نزع نواهُ ويؤكل منهُ على الريق وقبل النوم ولا يؤكل معهُ المغلظات ولا اللحم البقري فيكون معهُ عافية وقوة . وهم يعالجون السل والبواسير بهذا المركب : رطل فلفل اسود وابيض ونصف رطل زنجبيلا وربع رطل خولنجان وسدس رطل قرفة ورطلان سكراً تدق جميعاً وتنخل وتؤخذ مع الشاي سفوفاً على الريق . ويعالجون السل بالشطة وحدها بأخذها مع كل طعام بدل الفلفل . ويعالجون الخنازيري ( التهاب الغدد الليمفاوية ) بشقها وذرّ الزرنيخ على الجرح

وعندهم كثير من الدجالين يعالجونهم بالتعزيم وكتابة الاحجبة فهي علاج لكل داءٍ عياءٍ وقلما تجد احداً من اهل السودان ولاسيما النساء الاَّ حاملاً حجاباً او اكثر . ومن علاجاتهم ان يكتبوا سوراً من القرآن على لوح ثم يغسلون الكتابة بماءٍ ويشربون الماء للاستشفاء بهِ

ويهتمّ بالمريض امهُ وزوجتهُ واختهُ وعمتهُ وخالتهُ . وفي سؤالهم عنهُ يقولون عسى طيب النهار دا . المولى يعفو عنهُ ان شاء الله وعند تفشّي امراض وبائية يذبحون الذبائح ويوزعونها على الفقراء والمساكين رجاء رفع الاوبئة عنهم والذين لا قدرة لهم على ذبح الذبائح يسلقون الذرة ويوزعونها ويعتقدون ان الوباء يذهب مع البخار الذي يتصاعد منها ولا يسلقونها الاَّ

عند طلوع الشمس وغروبها . وبعد اكل الذرة يطوف الاولاد في الشوارع منادين : " يا لطيف لم تزل الطف بنا فيما نزل " او ينادون " يا خالقنا نحن ضقنا "

ومن عاداتهم عند رؤية الهلال ان يقولوا " اللهم اعطنا خيرهُ واكفنا شرهُ " ثم يوقدون النار امام منازلهم ويهنئون بعضهم بعضاً فيقول الواحد « الشهر مبارك عليكم » فيجيبهُ الآخر " علينا وعليكم " ثم يقول الاول " اعفوا عنا " فيجيبهُ الثاني " عافين عنكم " وهذه عادتهم في ايام المواسم والاعياد وهي من اجلّ عاداتهم

وقد اقتبسوا عادة الاحتفال "بشم النسيم" من المصريين وتقلدوهم في سحق رؤُوس البصل وصبغ البيض والاستحمام في النيل والخروج للتنزُّه في البساتين

ومن عاداتهم في الحروب انهم يأخذون كبار قتلى اعدائهم فيقطعون رؤُوسهم ويعلقونها في الشوارع العمومية اشهاراً للنصر . واما السود فيقطعون ايدي قتلى الاعداء ويضربون بها النقارة الى ان تنتن فيرمونها . ومن قتل وحشاً مفترساً جرَّدوهُ من ثيابهِ والبسوهُ ثياب النساء وحلاهنَّ من عقود الخرز وغيرها وضفروا شعرهُ ضفائر دقيقة كضفائر النساء وحبسوهُ في بيت مظلم سبعة ايام ثم اخرجوهُ الى النيل للاستحمام بهِ ووسموهُ في جبهتهِ او كتفهِ علامة لقتلهِ الوحش المفترس وتغييراً لسحنتهِ ثم اولموا وليمة فاخرة فرحاً بسلامتهِ

" وقيودهم " الشعبة والمكية اخذوهما عن السود والزنجير المعروف والقيد وهو على صورة المكية الاَّ انهُ اخف منها ولا يقفل بمفتاح

" والعابهم " الخاصة بهم : السيجة وهي تشبه الداما والطاب وغيرهما وعندهم من العابنا الداما والمنقلة والنرد ( الطاولة ) والدومنو والورق

﴿ خرافاتهم ﴾ واما خرافاتهم فعلى نحو خرافات العرب في مصر والشام الاَّ انهم اشد تمسكاً بالخرافات من العرب في كل زمان ومكان . فعندهم السحرة والدجالون والمشعوذون من الرجال والنساء . ومن معتقداتهم السحر والزار والمندل والرمل وضرب الودع والعقدة وكشف الدفائن وتفسير الاحلام والخيرة وكتابة الاحجبة والاصابة بالعين والتشاؤُم والتفاؤُل ووجود الجن والعفاريت ونحو ذلك من الترهات التي لا طائل تحتها

اما الزَّار فقد دخل السودان من مصر وكثر استعمالهُ في بلاد سواكن وبربر والخرطوم . واكثر اعتمادهم في تفسير الاحلام على كتاب بن سيرين . وفي الخيرة على كتاب محيي الدين ابن العربي . واما الرمل والمندل وضرب الودع وكشف الدفائن وعلم التنجيم فاكثر المشتغلين فيهِ هم السحرة والمشعوذون من التكارنة وغيرهم

واما العقدة فيشتغل بها فرع من بشاري الاتبرة يعرف بالقرَب فاذا ارادوا عقد انسان في مكان عزَّموا عليهِ فبقي في مكانهِ لا يبرحهُ حتى يحلوهُ واذا وضع امامهُ طعام وعقدوهُ لم يستطع ان يمدَّ الى الطعام يدًا . قيل واذا سخر لهم جمل عقدوهُ فيبرك ولا يقوم

# السلُّ

## سببهُ وعلاجهُ

كتب بعض اطباء نيويورك رسالة الى جريدة "السينتفك اميركان" في السل وسببهِ وعلاجهِ فقال فيها ان علم الطب يقول ان وجود باشلس التدرن في الرئتين هو السبب الجوهري في مرض السلّ . واجمع الاطباء طرًّا بعد طول البحث والامتحان على ان العقاقير الطبية لا تفيد في علاج هذا الداء . والظاهر انهم قصروا البحث على اكتشاف واسطة لاهلاك جراثيم السلّ في الرئتين بدلاً من ازالة بعض الاسباب الجوهرية التي تمكن الجراثيم من المعيشة فيهما . واخفاق المساعي التي بذلت لمعالجة هذا الداء يدلُّ على ان الاطباء لم ينبهتوا لبعض العلل الاصلية التي يتسبب السلُّ عنها . فقد قال بعض الاطباء ان سوء التغذية سبب السلّ ولكنَّ كثيرين اصيبوا بسوء التغذية وبرَّحهم الداء ولم يصابوا بالسل . والحقيقة انهُ لا يصاب احد بالسلّ ما لم تكن رئتاهُ ضعيفتين صالحتين لسكن ميكروب السلّ ونموّهِ

والشروط الصالحة لنمو هذا الميكروب نسيج ضعيف وكمية معلومة من الرطوبة . وسبب اصابة الرئتين بهذا الداء هو ان قمتيهما قلما تمتلئان هواء فيضعف نسيجهما هناك . واذا استقرَّ المكروب فيهِ فلا يمنع نموَّهُ دواء من الادوية المعروفة الى الآن . اما القوي الرئتين فانهُ يستنشق مكروبات السلّ ولا تضرُّ بهِ

اذًا ليس الميكروب كلَّ السبب في السلِّ بل ان بعض السبب ضعف نسيج الرئتين لاسباب عديدة ونموّ الميكروب على اثر ذلك . فلا يوجد السل بلا وجود الميكروب ولا يوجد الميكروب وينمو بلا وجود نسيج ملائم لنموهِ . ولو فرض ان الميكروب وجد تربة ملائمة لنموهِ فان المرض لا يتقدم مالم تنحطَّ قوة المريض بسبب اجهاد قواهُ العقلية او العصبية فالميكروب اذًا سبب من الاسباب واما السبب الجوهري فهو حالة العقل وما يتبعها من انحطاط قوى العليل وهذا هو الامر الذي لم ينتبه الاطباء لهُ حتى الآن

ولست اريد بهذا القول ان حالة العقل هي السبب المباشر للسل ولكنها الشرط الاهم الذي

يجب الانتباه لهُ في علاج هذا الداء . فان سبب السلّ ضعف اعصاب الحركة في الرئة وغيرها من اعصابها . وضعف اعصاب القلب والمعدة وغيرهما من الاعضاء الداخلية التي لها علاقة بهضم الطعام وتمثيلهِ . ولما كان العقل متسلطاً على اعصاب الحركة وغيرها تمام التسلط فان فيهِ سبب الخلل الاصلي . فاذا اجهد العقل بشدة الهم او الخوف او غيرهما من المهيجات الطبيعية او العقلية دبَّ الخلل اليهِ وتطرق منهُ الى الجهاز العصبي كلهِ . واذا طال الاجهاد بات العقل ضعيفاً وفقد سلطتهُ على الجسم فتختل الاعصاب وتعود غير كفوءٍ للقيام بوظيفتها الاصلية

فاذا اضطرب العقل او تهيج تغيَّر عمل القلب والمعدة وغيرها من اعضاء الجهاز الهضمي فيتعطل الهضم والتمثيل و يعقب ذلك سوءُ التغذية فالهزال الذي يصاحب هذا المرض عادة وتضعف اعصاب الحركة التي في الرئتين فيتعذر عليهما قذف المادّة التدرنية التي تجمعت فيهما والتي لا تزال تتجمع بسرعة عظيمة للسبب عينهِ . واذا ضعف القلب فضعفت الدورة الدموية وضعفت المعدة وسائر اعضاء الهضم فصارت عاجزة من هضم الطعام وتمثيلهِ كما يلزم وضعفت الرئتان فصارت عاجزتين عن قذف المادة التدرنية فلا عجب اذا تجمع الصديد فيهما وتكاثرت المكروبات وأسرع نبض العليل وارتفعت حرارتهُ

وقد ظهر من التجارب الحديثة انهُ اذا أُصلحت الاسباب الحقيقية وزاد عمل القلب عاد النبض والحرارة سريعاً الى مجراهما الطبيعي وبقيا كذلك ولو كان في الرئتين كمية كبيرة من المادة التدرنية . وندر ان يسرع النبض وترتفع الحرارة بعد ذلك ما لم يستولِ على العليل اضطراب عقليّ . اما المادة التدرنية التي تبقى في الرئتين فتقذفها الرئتان حالما يقوى نسيجهما واعصاب الحركة التي فيهما

واهمُّ ما في السلِ امر علاجهِ . ولما كانت احوال المرض تختلف كثيراً باختلاف المرضى بهِ فلا يمكن تعيين علاج واحد للجميع على ان الارشادات التالية تفيد في اغلب حالات المرض وتلائم المسلولين الذين تقدَّم سير المرض فيهم بنوع خاصّ

قالوا ان هذا المرض لا يشفى اذ ليس للمريض قوة حيوية كافية ولا قوة عصبية لمقاومة المرض . ولما كان الامر كذلك فاول ما يجب الانتباه لهُ المحافظة على ما بقي للمريض من القوة العصبية وابعادهُ عن كل ما يسلب تلك القوة منهُ . ولبلوغ ذلك يجب ان يعلَّم كيف يفتكر و يتنفس و يتحرك على اسلوب منتظم . فقد عرف ان بعض الاطباء نجح نجاحاً واضحاً في معالجة المسلولين بتعليمهم التنفس العميق المنتظم . وسبب النجاح هو اولاً تفتيح خلايا الرئتين وادخال الهواء النقي اليها وثانياً انهُ اذا اخذ العليل يتنفس تنفساً منتظماً صار تفكرهُ وتحركهُ

منتظمين ايضاً فاستراح العقل وجميع اعصاب الجسم

ثم انهُ اذا كان المرض متقدماً فليقم المريض في غرفة واسعة تدخلها الشمس ولتبقَ شبابيكها مفتوحة ليلاً ونهاراً وليخبَر بالسبب الحقيقي الذي افضى الى مرضهِ وان شفاءهُ يتوقف على ما يبذل من السعي للتسلط على افكارهِ وعقلهِ فيتجنب كلَّ ما من شأنهِ ان يثير عوامل الخوف والهمّ وغيرهما من الامور التي تهيج عقلهُ او تتلف قوتهُ العصبية . وليعلَّم التنفس البطيء العميق المنتظم فيعدّ عدداً معلوماً عند كلّ تنفس ثم يزاد العدد باتساع رئتيهِ وازدياد قوتهِ

وليحذر اهل بيتهِ ان يسألوهُ عن صحتهِ وان يعترضوا عليهِ كلما سعل لان سعالهُ امر اضطراري وليس في وسعهِ ان يتجنبهُ ولا يسمح للعوّاد الذين يهيجونهُ باقوالهم ان يعودوهُ . ولا يلحوا عليهِ في الخروج للتنزه في الايام المشمسة بل ليتركوهُ يتنفس الهواء النقي ويتمتع بنور الشمس وحرارتها بلا حركة ولا تعب . اما التنزه خارجاً فيلجأُ اليهِ متى استعاد قوتهُ البدنية والعصبية فبات وهو يستطيع التنزه من غير ان يلمَّ بهِ ضعف بعد ذلك . والدلك يقوم مقام الرياضة وكثيراً ما يقلق المرضى بالبحث في حالة نبضهم وحرارتهم وخير ما يفعل ان يتناسى هذا الامر وخصوصاً في حضرتهم

واقول اخيراً ان الدلك يفيد فائدة عظيمة لانهُ يساعد القلب على عملهِ فتتحسن الدورة الدموية . فليكن الدلك خفيفاً جداً ومنتظماً وسرعتهُ مثل سرعة النبض الاعتيادية . والاَّ فاذا زاد الضغط على جدران الاوردة والشرايين افضى ذلك الى زيادة احتقان الدم وتهيجهِ في المواضع الملتهبة

ومن اهم الامور في علاج السل ان يراح العقل من جميع المشاغل والهموم النواصب . فان الم الضرس كافٍ احياناً لاهاجة العقل ومنع سكونهِ وانتظامهِ . وليتذكر دائماً ان اعظم ما يحتاج العليل اليهِ سكون عقلهِ سكوناً تاماً حتى يسترجع قوتهُ الاصلية ويستطيع ان يتمم وظيفتهُ الطبيعية . انتهى

ولاندري كيف يعلل الكاتب حدوث السل في العجماوات ولاسيما القرود فان اكثر ما يوضع منها في بساتين الحيوانات يموت بالسل وهي لاتهتم اقل اهتمام عقلي وغاية ما في الامر ان ميكروب السل يصيب رئاتها بكثرة فلا تقوى عليهِ ولو اطلقت في الخلاء حيث تستنشق الهواء الخالي منهُ لتغلبت رئاتها عليهِ وشفيت منهُ . فان كان للعقل تأثير فيكون تأثيرهُ في التغذية العامَّة وهي اذا ضعفت اتسع المجال لميكروب السل فيفعل فعلهُ الذريع

# باب الزراعة

## غسول مكدوجال

قرأنا عن فائدة هذا الغسول في شفاء البقر والغنم والجمال من الامراض الجلدية التي تصيبها وعن فائدتهِ ايضاً في وقايتها من القراد والذباب وما اشبه ثم التقينا باحد الذين جربوهُ فاكدَّ لنا فائدتهُ ويقول اصحابهُ " ان اكثر المزارعين الانكليز يغطسون اغنامهم فيهِ مرتين او اكثر في السنة ونتيجة ذلك ان داء الجرب يكاد يستأصل استصالاً تامًّا فضلاً عن ان هذا الغسول يستأصل شأفة الاوبئة التي تسببها الحشرات فلهُ فائدة كبيرة في انهُ يحسن نوع الصوف ويزيد في نموهِ . والصوف الذي غمس في غسول مكدوجال يبقى ناعماً . ومن خواص هذا الغسول انهُ يزيد في نموالصوف نحو عشرين في المئة في بعض الاحيان وعلى كل حال فانهُ يزيد في نموهِ ما يفوق ثمن الغسول ويحسن لونهُ ولمعانهُ تحسيناً عظيماً بحيث يجد المزارع باباً للربح في استعمالهِ . ولم تخفَ هذه الحقائق على المزارعين واصحاب المواشي في بريطانيا العظمى ولاسيما في اسكتلندا وتبيّن لهم الربح الحاصل من الانتفاع بها فهم يغطسون كل اغنامهم في هذا الغسول مرتين او ثلاثة كل سنة ". وقد نشر وكلاء مكدوجال في القطر المصري رسالة وصفوا فيها الحشرات التي تسطو على المواشي من قراد وقمل وجرب ونعر فاقتطفنا منها ما يلي لما فيهِ من الفائدة

### ١ — القراد

القراد حشرات طفيلية شديدة البأس تمتص الدم مصًّا . ويتولد القراد واحدةً فواحدة ومع ذلك فانهُ يتكاثر بسرعة غريبة وهو يلتذ كثيراً بامتصاص الدم ولكنهُ يستطيع النمو والتكاثر بدونهِ ويعيش مدة غير محدودة على الارض الى ان تسنح لهُ اول فرصة يتمكن بها من التعلُّق بصوف الغنم والجمال وغيرها فيحمل عليها حينئذٍ حملةً شعواء فيفقدها راحتها ويكلفها عناءً عظيماً

وجسم القرادة او بطنها يتألف من غشاء يمكن تمدُّدهُ كأنهُ كيس مطَّاط وهي تملأهُ بمقدار كبير من الدم الذي تمصهُ فتخزن ما يزيد عنها منهُ الى وقت الحاجة في المستقبل . ولها ست

ارجل متساوية في الطول وفي كلٍّ منها سبعة مفاصل تنتهي بكلابات تمكنها من التمسك بصوف الحيوان وشعرهِ

وتكون هذهِ الحشرة في الدور الاول من ادوار حياتها دودة تتكون في البيضة وهي في بطن امها · وتكون في بادئ الامر لينة صفراء اللون ولكنها تقسو حالاً ويصير لونها اسمر وهي بيضوية الشكل بطرف مسطح وتلتصق بالصوف بواسطة ما يفرزهُ جلد الغنم والجمال · واذا تمَّ نموُّها خرجت من البيضة قرادةً كاملةً تفترس وتتكاثر

## ٢ — القمل

القمل لا يلازم الغنم دائمًا كالقراد ويندر وجودهُ حيث تعالج الماشية بالعلاج المناسب ويظن بعض الرعاة انهُ زال من اغنامهم ولكنهم كثيرًا ما يخطئون لانهُ يوجد في قطعان عديدة ويكون كثيرًا جدًّا · ويسمى غالبًا بالقمل الاحمر واحيانًا بالقمل الابيض لان رأسهُ وعنقهُ حديديَّا اللون وجسمهُ اصفر باهت اللون فيهِ خطوط سوداء

والقمل يفضّل الوجه الداخلي من ساق الحيوان وجوانب العنق والصدر · ووجودهُ حول العنق وعلى الكتفين والظهر هو الذي يجعل الحيوان يُدخل عنقهُ بين قضبان الابواب الحديدية وغيرها ليحكها بها

فاذا رأَيت الصوف قد سقط وزال في بعض الاماكن وكذلك اذا رأَيت الخَروف يعض كفلهُ او يخمش مرفقيهِ برجليهِ فافحص تجد هناك القمل يثقب الجلد ليمتص الدم

## ٣ — الجرَب

ان حيوان الجرب هو الذي يسبب الجرب في الغنم وفي الجمال والخيل وغيرها من الحيوانات · وهو صغير جدًّا لا يزيد حجمهُ على حجم الثقب الذي يثقب بطرف الدبوس ومع ذلك فهو يتكاثر تكاثرًا سريعًا جدًّا واذا لم تتخذ الوسائل الفعالة لدفع شرهِ الحق بالقطيع ضررًا بليغًا جدًّا · فهو يحفر في الجلد ويهيج اللحم تحتهُ · واذا ولد حيوان الجرب انثى على صوف الحيوان اسرعت الى جلدهِ فاخترقتهُ ودخلت فيهِ ولم تترك خارجًا سوى نقطة حمراء · وبعد مضي نحو عشرة ايام ترى انتفاخًا قليلاً في المكان الذي دخلت فيهِ ويتغيَّر اللون فيصير مخضرًّا · ثم تتكوَّن بثرة صغيرة ولا يمضي ستة عشر يومًا حتى تصير هذه الانثى امًّا فتخرج من مكمنها باولادها · وفي الحال تبدأُ كلٌّ من الصغار بعيشة مستقلة عن اختها فتحفر في الجلد لنفسها وتكمن هناك وهي تقتات من لحم الحيوان كما فعلت امها قبلها · ويستمرُّ هذا الامر كذلك حتى يبلغ عددها

الالوف والربوات فتعذب الغنم والجمال عذاباً اليماً ولاسيما في الشرق حتى اذا لم تعالج المعالجة الصحيحة فقد تودي بحياتها

وافضل الوسائط لوقاية الماشية ان تحفظ دائماً في حال النظافة التامة هذا ما عدا تغميسها في غسول مكدوجال . ولا تفي العلاجات بالمقصود الاَّ اذا اعتني بالغنم كل الاعتناء

وحشرة جرب الغنم التي تسبب هذا الداء صغيرة جداً لايراها بالعين المجردة الاَّ من كان متمرناً على رؤيتها ولكنها تُرى بكل سهولة بواسطة نظارة مكبرة وهي تغور في اللحم وتقتات عليهِ وتكثر بسرعة عظيمة فتسبب التهاباً شديداً . واذا دخلت جسماً افرزت مصلاً يجف على الجسم بهيئة قشرة . وتعيش حشرات الجرب تحت هذه القشور فتضع بيوضها وتنمو وتتكاثر بسرعة عظيمة حتى اذا اصيب مكان بها فقد تنتقل الى مكان آخر من الحيوان نفسهِ . واذا اخذت احدى هذه القشور على طرف سكين وفحصتها بنظارة مكبرة رأيت حشرات الجرب تحتها ورأيت ايضاً بيوضها

وتبيض انثى حشرة الجرب من عشرين الى ثلاثين بيضة وتموت وتولد صغارها من البيض بعد نحو سبعة ايام لايمضي عليها ثمانية ايام اخرى حتى تبدأ تبيض . فهنا حقيقة يجب على كل من يهمهُ هذا الامر ان يبقيها في ذهنهِ لانهُ اذا عولج الحيوان بالعلاجات الواقية ماتت كل الحشرات والبيوض التي يصل اليها الغسول اما البيوض التي تكون مطمورة تحت الجلد فلا يصلها الغسول وتبقى حية . فمن الواجب اذاً اعادة المعالجة بعد مرور عشرة ايام او اربعة عشر يوماً فتكون البيوض المخبأة في هذه المدة قد بلغت وخرجت صغارها من مكامنها ولكن لم يمضِ عليها وقت كافٍ لتبدأ في وضع بيضها

ومن خصوصيات بيوض الجرب انها تستطيع ان تبقى حيَّة وقتاً طويلاً بعيدة عن جسم الحيوان . ولكنها اذا اتصلت بجسم حيوان سليم باية واسطة كانت فلا يمضي عليها وقت طويل حتى تتحول الى حشرات . ولذلك فكثيراً مايصاب الحيوان بالجرب ولا يعلم صاحبهُ كيف اتصلت العدوى بهِ

يتبين من هذا الامر ومن كون المرض سريع العدوى جداً ان استئصالهُ واتقاءهُ من اصعب الامور الاَّ اذا اتخذت التدابير اللازمة وعمل بموجب الارشادات المذكورة

والحيوانات الجرباء كثيراً ماتحتك بكل ماتصل اليهِ كاعمدة التلغراف والاشجار وغيرها وبعملها هذا ينتقل منها شيء من حشرات الجرب او بيوضها او من النوعين فتبقى هناك وتنتقل الى الحيوانات السليمة وتعديها . وقد يتصل المرض بالعدوى من عربات النقل في السكك

الحديدية ومن الشوارع ومن الطرق ايضاً واذا اختلطت نعجة جرباء بقطيع سليم فقد تعدي القطيع كلهُ في اقصر وقت

اعراض الداء — اذا كان الجرب قد بلغ درجات متقدمة فلا يصعب الوقوف على اعراضهِ واما اذا كان لم يزل في اوائلهِ فالحكم في وجودهِ وعدمهِ من صعاب الامور . والحيوانات المصابة تصير قلقة منزعجة وتكثر من حك جسمها لتسكين الالتهاب . ثم يبدو الصوف في البقع المصابة رثاً بالياً ثم يسقط و يبقى مكانهُ عارياً . واذا تقدَّم الداء في الدرجات ظهرت قشور الجرب فتثبت الحكم بوجودهِ

الشفاء — ان شفاء الجرب ليس صعباً بشرط ان يعالج المعالجة المناسبة بالعلاج المناسب بدون تأخُّر . فاذا اصاب الجرب قطيعاً كاملاً اوحيواناً واحداً فيجب الاسراع في معالجتهِ بدون ابطاء

وفي معالجة الجرب في الخيل والجمال والمواشي يجب مراعاة الامور الآتية :—

١ استعمل انجع الادوية فقط واحذر السموم الضارَّة

٢ تحقق مقدار كل من الغسول والماء المستعمل لتعلم قوة المزيج بالتدقيق

٣ انتبه حتى يكون استعمال العلاج على اتمهِ

٤ كرر المعالجة بعد عشرة ايام او اربعة عشرة يوماً

٥ طهر الاسطبل او الزريبة او غيرها حيث كانت الحيوانات الجرباء وكذلك كل الاعمدة التي قد حكَّت جسمها بها والاَّ فانها تعود وتصاب ثانية بعد ان تكون قد شفيت

٦ لا تنسَ ان غسول مكدوجال قد أُعدَّ خصوصاً لشفاء هذا الداء العياء وهو افضل وانجع دواء من نوعه وصل العلم الى اكتشافهِ

## ٤ — النعر وذباب الخيل

يدخل تحت هذا الاسم ما لا يقل عن اربعة اجناس من الذباب الذي يسطو على لحم الغنم واشهر هذه الاجناس ما يسمى بالذباب الازرق وهذا لهُ صدر ازرق قاتم وجسم ازرق لامع . والجنس الثاني ذباب رمادي الصدر لهُ ثلاثة خطوط سوداء على ظهرهِ وجسم رمادي مخطط خطوطاً طولية وقد يكون احياناً ناصع البياض . والجنس الثالث لهُ صدر ازرق لامع وجسم اخضر . والجنس الرابع جسمهُ اخضر لامع و يعرف باسم ذباب اللحم الاخضر

وهذه الحشرات خفيفة الحركة فلا تنقطع عن التفتيش على طعامها وعلى مكان مناسب تضع فيهِ بيضها . وقد تحقق ان الانثى الواحدة من هذا الذباب تبيض عشرين الف بيضة وهذه كلها تتحوَّل الى دود تلهم كلٌّ منها من اللحم اكثر من الحشرة البالغة . وقد وجدوا ان الدودة من هذا الدود اذا ساعدتها الاحوال يزيد ثقلها مئتي ضعف في مدة لا تتجاوز ٢٤ ساعة . وهي تقتات بكل انواع اللحم الفاسد واللحم الحي ايضاً اذا تمكنت من الوصول اليهِ . واذا ساعدتها الاحوال يتكامل بلوغها في خمسة او ستة ايام فتنقطع عن الاكل وتحفر في الارض الى عمق بوصتين او ثلاث وتقضي هناك الدور الثالث من ادوار حياتها . ثم لا يمضي عليها اسبوعان حتى تتمزَّق القشرة المحيطة بها فتخرج منها ذبابة لحم كاملة وتسعى وراء طعامها ومكانٍ ملائم تبيض فيهِ

ويضع هذا الذباب بيوضهُ على الغنم في انكلترا من شهر مايو الى شهر سبتمبر وخصوصاً في شهر اوغسطس واوائل سبتمبر . وتقوى هجماتهُ في الطقس الحار الممطر ويفضل وضع بيوضهِ حول الذيل وعلى الظهر . ومتى تحوَّلت هذه البيوض الى ديدان وبدأَت تلتهم اللحم صار الصوف في ذلك المكان قذراً وانبعثت منهُ رائحة كريهة تجذب الذباب اليهِ ليضع بيوضهُ هناك وهكذا يستمر هذا العمل حتى اذا مضى على الخروف اربع وعشرون ساعة وهو على هذه الحال فقد لا يبقى رجاءٌ من شفائهِ واذا مضى عليهِ ٤٨ ساعة فقد يموت متألماً . فاذ قد تبين ما لهذه الحشرات من الضرر البليغ على القطعان فيجب اتخاذ كل الوسائط الفعَّالة لوقايتها منها . والاغنام الضعيفة او ذات الصوف القذر معرضة للاصابة اكثر من سواها فيجب ازالة كل آثار الاسهال وتنظيف كل الجراح وتضميدها وربطها

## موسم القطن

صلح الهواءُ بعد ما كتبناهُ في الشهر الماضي فجادت زراعة القطن في هذا القطر وفي اميركا جودة قليلة النظير فهبطت الاسعار جدًّا ولا تزال آخذة في الهبوط لانهُ اذا بلغ الموسم المصري سبعة ملايين بالة كما ينتظر زاد على المقطوعية الاَّ اذا تحوَّلت بعض المعامل من غزل القطن الاميركاني الى غزل القطن المصري وذلك محتمل ومنوي . ثم اذا جاد الموسم الاميركي فبلغ اكثر من احد عشر مليون بالة فلا بُدَّ من ان تزيد الاسعار هبوطاً وتكون الخسارة عامة

## محصول القطن في اميركا

القطن السي ايلند اغلى اصناف القطن الاميركي لانهُ اجودها ويعتني الاميركيون بزراعتهِ اكثر مما يعتنون بزراعة غيرهِ ومع ذلك لا يزيد حاصل الفدان منهُ على اربعة قناطير وكثيرًا ما لا يبلغ الحاصل قنطارًا ونصف قنطار والمتوسط قنطاران او قنطاران ونصف . اما نفقات الزراعة فتبلغ ستة جنيهات ونصفًا وقد نشرت الحكومة الاميركية تعديل الحاصل والنفقات بعد ان بحثت في ذلك بحثًا دقيقًا فوجدت ان متوسط حاصل الفدان في بعض الاماكن ٢١٠ ارطال من القطن الشعر و ٧١٤ رطلاً من البزرة ( او ١١٧ بشلاً ) وبلغ ثمن القطن والبزرة ١٢٢٣ غرشًا وبلغت نفقات الزراعة ٦٤٨ غرشًا فيكون ايراد الفدان من السي ايلند ٥٧٥ غرشًا لا غير . والمتوسط في بلاد واسعة يقل عن ذلك كثيرًا وقد بلغ ٢٠٤ ارطال من القطن الشعر وبلغ صافي ايراد الفدان منها ٤٤٩ غرشًا . ولذلك لا يزيد ايجار الفدان هناك على ستين غرشًا ويبلغ ثمن السماد ١٤٠ غرشًا

وهاك جدول النفقات كما ذكرتها الحكومة الاميركية سنة ١٨٩٦

| | | |
|---|---|---|
| ايجار الفدان | ٥٧ | غرشًا |
| حرث | ٥٠ | " |
| تقاوي | ١١ | " |
| زرع | ٠٩ | " |
| ثمن سماد | ١٣٩ | " |
| وضع السماد | ٦ | " |
| عزق | ٨٦ | " |
| جمع | ١٥٦ | " |
| حلج وكبس | ٩٩ | " |
| خيش وحزم | ١٢ | " |
| شحن | ٣٦ | " |
| تصليح الادوات | ١١ | " |
| مصروفات أُخرى | ٣٤ | " |
| | ٧٠٦ | |

وثمن القطن والبزرة ١١٥٧ فيكون صافي الربح للفلاح ٤٥١ غرشاً

فاذا جاد هذا القطن في القطر المصري كما يجود في اميركا فلا نفع منهُ لان صافي ايراد الفدان من القطن العفيفي او الينوفتش اكثر من ذلك كثيراً ولا يندر ان يؤجر فدان القطن بعشرة جنيهات

## حشرتان

كتب المستر كارتريط في مجلة الجمعية الزراعية الخديوية ما ترجمتهُ :

زرت كفر الزيات فأروني نوعاً من الحشرات يفتك بثمر البرتقال ويوقع بهِ شرَّ التلف . وذلك انهُ بعد ما يصيب البرتقالة تسقط الى الارض قبل نضجها واذا ضغطت باليد ظهر انها لينة وتحت القشرة عدد من الدود يأكل الاجزاء اللينة من البرتقالة

وطول الدودة ٨/٣ البوصة ولونها ابيض مصفرٌّ ورأسها اسود . فربيت بعضها فوجدت انها دود الحشرة المسماة "تريبيتا كابيتاتا" وهي ذبابة صغيرة جميلة ذات جناحين تضرب الخوخ ( الدراقن ) كما تضرب البرتقال

وعند ما تترك الدودة البرتقالة تنزل الى الارض لتصير ذبابة . ولا يبعد ان هذه الحشرة تلد اكثر من مرة في السنة فلذلك تصعب معالجتها لا سيما وانهُ لا يعرف ما هو الطعام الذي تقتات بهِ حين لا يوجد برتقال

وهناك طريقتان لتخفيف ضررها الاولى ان تجمع الثمار الساقطة حالاً بعد سقوطها اي قبل خروج الدود منها الى الارض وتتلف اما باحراقها او باطعامها للخنازير

والثانية ان ترشَّ الارض تحت الشجر بمزيج يتألف من جزء من كبريتات الحديد و ٢٤ جزءا من الرمل ثم ترشَّ بالماء فيهلك بذلك الدود الذي يخرج من الثمار الساقطة

ولا حاجة الى القول ان من الواجب اتفاق اصحاب البساتين على ذلك اذ لا فائدة من ان يهلك الواحد الحشرات التي في بستانهِ على حين ان الآخر يهمل ذلك فان الحشرات تنتقل من المكان المصاب الى المكان السليم بسرعة

ومن الحشرات التي شاهدتها ذبابة القمح المسماة "هيليا كواركتاتا" . فقد شوهد ان بعض نبات الشعير المزروع في حقول المدرسة الزراعية اخذ يصفرُّ ويموت فكانت الورقة الوسطى تموت اولا ثم تتبعها بقية النبات . وعند الفحص ظهر ان البرعم الاخير أُكل وان آكلهُ دودة صغيرة طولها من ٤/١ بوصة الى ٨/٣ . فانها ثقبت ثقباً في الغلاف وسارت حتى بلغت طرف

القصلة فاكلتهُ ثم تركت هذه النبتة من الثقب نفسهِ او غيرهِ وانتقلت الى نبتة اخرى

وهي بيضاء اللون بلا ارجل ولها راس مروَّس وفم مؤلَّف من مشفرين معكوفين اسودين وعند ذنبها نقطتان سوداوان وفوقهما ثقوب التنفس تمتدُّ القصبة منهما الى داخل البدن وذنبهما مقسوم الى شعبتين لحميتين مسننتين وشعبتين اخريَين ابسط تركيباً منهما

# باب المراسلة والمناظرة

## منزلة الشعر من التاريخ

الى منشئي المقتطف الاغر وناظمي عقود فرائدهِ الغرر

ان لمجلتكما الغراء يداً على اهل الادب بيضاء فقد محصت الحق من الاقوال كما كشفت عنهُ حقائق الرجال وقد زرت قبيل تاريخ هذا الكتاب احد المشتركين في مجلتكم من الاصحاب فاحضر لي العدد الثالث والرابع من مجلد هذه السنة فبقيت انزهُ النظر في رياض مباحثهما والتقط فرائد فوائدهما ورأيت في العدد الثالث منهما تحت عنوان رد علي رد وانتقاد للفاضل الاديب امين خير الله افندي رد فيهِ على ما كنا كتبناهُ في التنبيه على ما كان من سهو قلمهِ ولابدع فان الجواد قد يكبو والصارم قد ينبو فرأيناهُ احسن الله اليهِ قد تلقى ذلك على غير ما كنا نأملهُ من امثالهِ الافاضل الاماثل وقطب وجههُ وحملهُ على غير محملهِ ولم يكن القصد الاَّ تمحيص الحق وصيانة مجلتكم الغراء من وصمات الخطاء ولعلهُ ايدهُ الله لم يظهر لهُ الصواب بعد وضوحهِ ولم ينبلج لهُ صبح الحق بعد ظهورهِ فلذلك تكلم بما تكلم ونحن نشكر فضلهُ على ذلك فان العلم كنز مفتاحهُ السؤال

قد اشتمل كلامهُ علي مسائل الاولى انهُ فسر قول حسان

تظل جيادنا متمطرات تلطمهنَّ بالخمر النساء

بقولهِ "ان الجياد كانت مسرعة اشد الاسراع بينما كانت النساء تنفض الغبار عنها" . ثم طلب الدليل على انطباق هذا الكلام على صورة واقعية ليكون التخريج مقبولاً . فنقول لهُ من فسر البيت بما فسرت ومن الذي ذكر ما ذكرت وانما الذي ذكرناهُ تفسير لفظ متمطرات وقلنا يقال مطرت الطير وتمطرت اسرعت في هويها وتمطرت الخيل ذهبت مسرعة وجاءت

متمطرة اي جاءت مسرعة يسبق بعضها بعضاً وهذا نص عبارة لسان العرب واستشهد على ذلك بعدة شواهد من كلام العرب ومنها بيت حسان هذا ثم قلنا ان الخُمُر بضم الميم جمع خمار لا كما وهم ولم نبين حاصل معنى البيت هناك اذ لم يكن غرضنا ذلك · ومعناهُ ما ذكرهُ السكري شارح ديوانهِ بعد ان فسر المتمطرات بالخوارج من جمهور الخيل لم تزل جيادنا مسرعات سوابق غيرها لدى الغارات مقرونة بالظفر على الاعداء · يستقبلهنَّ نساؤُهم بنفض الغبار عن نواصيها وما اثرنهُ من النقع في الغارات · فقد حكم على الجياد بحكمين الاول سرعة الجري والثاني الظفر ونيل المقصد وهذا مما تعدد فيهِ الخبر في اللفظ والمعنى فهو مثل قولهِ

ينام باحدى مقلتيهِ ويتقي باخرى الاعادي فهو يقظان هاجع

فاي محذور في ذلك

المسئلة الثانية انهُ استشكل التوفيق بين كون حسان رضي الله عنهُ شاعر الاسلام وان الخمر يومئذ محرمة عليهِ وبين قولهِ "كأن سبية من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء" الى آخر الابيات التي ذكرها · والجواب عنها من وجهين الاول انهُ ظن ما يذكرهُ الشعراءُ من الغزل والنسب يحمل على حقيقتهِ وظاهرهِ ولم يعلم ان عادتهم كانت تصدير شعرهم بما يستفز السامع ويستلفتهُ الى الاصغاء مما يستلذ بهِ · ولابن رشيق القيرواني في باب المبتدا والخروج والنهاية من عمدتهِ كلام مسهب في هذا المعنى فليراجع فيهِ وهو يدلُّ على ان ما يذكر في النسيب والتغزل لا يحمل على حقيقتهِ

الوجه الثاني ماذكرهُ العلامة الشيخ عبد القادر البغدادي عند شرحهِ لهذه القصيدة من خزانتهِ في الشاهد ٧٤٢ وهذا نص العبارة "يروى ان حسان مرَّ بفتية يشربون الخمر في الاسلام فنهاهم فقالوا والله لقد هممنا بتركها فزينها لنا قولك

ونشربها فتتركنا ملوكاً واسداً ما ينهنهنا اللقاءُ

فقال والله لقد قلتها في الجاهلية وما شربتها منذ اسلمت ولذلك قيل ان بعض هذه القصيدة قالهُ في الجاهلية وقال آخرها في الاسلام انتهى المراد بآخر القصيدة كما قال السكري في شرح ديوانهِ وغير الابيات التي اولها في هجاء ابي سفيان قبيل الفتح

واما قولهُ ان الاديب يعمل بمبلغ عملهِ الخ فكلام حق وكلٌّ يعمل على شاكلتهِ ولكن ليس من المروءة ان لا ينبه المخطئ على خطائهِ والكامل مرآة اخيهِ وينبغي للاديب ان يصغي للحق ويذعن للصواب وكل احد يؤْخذ منهُ ويرد عليهِ الاَّ من عصمهُ الله · والاعتراف بالحق من شأن الكمَّل وعلى المستفيد ان يدعو لمفيدهِ وما احسن ما انشدوهُ

اذا افادك انسان بفائدة    من العلوم فاكثر شكرهُ ابدا
وقل فلان جزاهُ الله صالحة    افادنيها والغِ الكبر والحسدا
فالحر يظهر شكرًا للمعين لهُ    خيرًا ويحمدهُ ان قام او قعدا

واما قولهُ "ولا اعلم من اين جاز لهُ الحكم بخلو مقالتي من ابحاث وهي لم تزل تنشر فقرًا متلاحقة" فنقول فيهِ من امعن النظر فيما كتبناهُ علم ان المقصود التنبيه على وجوب تقديم الأهم فالاهم من مزايا الامة العربية وشؤُونها واحوالها ولا سيما ما ذكر في كتاب الاعياد لابي الحسن على ابن المهدي الاصبهاني وكتاب الاعياد لابن عباد اسمعيل الوزير وكتاب الخالع في اديان العرب وغير ذلك من الكتب التي ارشدنا اليها وعلمنا ما فيها من المسائل المهمة في هذا الباب والاعراض عما هو من البداهة بمكان وانهُ من قبيل ان العرب كانت لهم عيون يبصرون بها وآذان يسمعون بها او انهم كانوا يأكلون الطعام و يمشون في الاسواق الى غير ذلك من الضروريات حتى للعجماوات وان سلف الامة وائمة اللغة قد اعطوا هذا المقام حقهُ واستشهدوا على كل قانون لهم وعادة اعتادوها بشواهد من ديوان العرب صادقة عليها ومطابقة لها فاذا نقل الناقل ذلك من مظانهِ امن من مثل ان يجعل جمع الخمار خمرًا

الفقير اليهِ محمد رشيد
مأمور معاينة الكتب في بغداد

# باب التقريظ والانتقاد

## تاريخ السودان

الالياذة كتاب الشهر الماضي وتاريخ السودان كتاب هذا الشهر لم تبتدعهُ قريحة هوميروس ولا دبجتهُ يراعة البستاني ولكن دأبت على جمعهِ وتبويبهِ وتنقيحهِ وتهذيبهِ همَّة تسهل الصعاب فجاء في نحو الف ومئة وخمسين صفحة بقطع يقارب قطع المقتطف وحرف يقارب حرفهُ وهو ينطوي على وصف بلاد السودان الجغرافي والطبيعي والاداري ووصف شعوبها وتاريخهم من اول ما يصل اليهِ التاريخ الى زمن الفتح المصري وذلك في الجزئين الاولين من اجزائهِ وهما يشغلان نحو اربع مئة صفحة ثم تاريخ السودان الحديث من زمن الفتح المصري

الى الآن . والكلام فيهِ مسهب ولا سيما على قيام المهدي وما جرى في عهدهِ وعهد الخليفة الى ان دالت دولة الدراويش ومحقت محقاً واستتبَّ الامن في بلاد السودان كلها

والذي نعلمهُ من امر المؤَلف انهُ جمع كل الدلائل والاسانيد التي يمكن الوصول اليها حتى اجتمع لديهِ منها ما لو نشرهُ كلهُ لملأَ مجلدات كثيرة ثم عكف عن تلخيصها وتمحيصها حتى وصل الى زبدتها فضمنها هذا الكتاب ولم يدَّخر وسعاً في تنقيحهِ وتهذيبهِ واضافة الصور والرسوم والخرائط اليهِ فاجتمعت فيهِ كل الفوائد التي يمكن جمعها في كتاب مثلهِ . واننا على كثرة مشاغلنا وقلة الوقت الذي نستطيع ان نشغلهُ بالمطالعة نطالع فيهِ الساعة بعد الساعة عن طيب نفس وقد نشرنا منهُ فصلاً في هذا الجزء للدلالة على بحثهِ الاجتماعي وسننشر فصلاً آخر منهُ للدلالة على بحثهِ التاريخي . ويقيننا انهُ سيلقى من القراء تمام الرضى فيحفظونهُ بين الكتب النفيسة التي تنافس بها اشهر المؤَلفات الاوربية . فنشكر لحضرة مؤَلفهِ الفاضل نعوم بك شقير ونتمنى ان يقتدي بهِ شباننا الذين يستطيعون الافادة بقلمهم فيقضوا اوقات العطلة في ماتبقى فائدتهُ وتحسن عائدتهُ

## تاريخ اللغة العربية

لقد رأَى رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان كما رأَى غيرهُ من العلماء الذين لهم المام بعلم اللغات ان العربية نشأَت وارتقت بالنمو من الداخل والاضافة من الخارج كما هو شأن غيرها فبحث في ذلك بحثاً دقيقاً ووضع خلاصة بحثهِ في كتاب سماهُ تاريخ اللغة العربية قال في مقدمتهِ " اننا نعدُّ ما كتبناهُ في هذا الموضوع الجديد خواطر سانحة فتحنا بها باب البحث لائمة الانشاء وعلماء اللغة فنتقدَّم اليهم ان يوفوا الموضوع حقهُ او يزيدونا منهُ لانهُ يحتاج الى بحث كثير ودرس طويل وقد اصبحت اللغة بعد هذه النهضة في العلم والادب والشعر غاية في الافتقار اليهِ — ليعلم حمَلَة الاقلام ان اللغة كائن حيٌّ نام خاضع لناموس الارتقاء تتجدَّد الفاظها وتراكيبها على الدوام فلا يتهيبون من استخدام لفظ جديد لمعنًى جديد لم يستخدمهُ العرب لهُ " وعندنا انهُ ليس لهذا المضمار الاَّ مؤَلف هذا الكتاب فقد عني بدرس لغات كثيرة فوق ما امتاز بهِ من الميل الفطري الى البحث والاستقصاء فعسى ان يزيدنا بياناً في هذا الموضوع الجليل

وقد قسم تاريخ العربية الى ثمانية فصول وهي العصر الجاهلي والعصر الاسلامي والالفاظ الادارية في الدولة العربية والالفاظ العلمية في الدولة العربية والالفاظ الاجتماعية ونحوها والالفاظ النصرانية والالفاظ الاعجمية في دول الاعاجم والنهضة الحديثة . الاَّ ان الالفاظ

التي قال انها دخلت العربية في العصر الجاهلي لم يقم دليلاً على انها دخلت العربية في ذلك العصر ولا نظن ان اقامة الدليل عليها كلها او على اكثرها مما يستطيعهُ الكاتب في هذا العصر لانهُ لم يوضع كتاب في اللغة في العصر الجاهلي ولا دوّن كتاب عربي الاَّ بعد الهجرة بسنين كثيرة فكيف استدلَّ مثلاً على ان العرب عرفوا في الجاهلية الجلنار والدارصيني والخلنجين والقرسطون والاصطرلاب ونحو ذلك من الالفاظ الكثيرة

وقد حقَّق اصل كلمات كثيرة اشكل على علماء العربية معرفة اصلها ككلمة تاريخ . وبحث عن تاريخ كثير من الكلمات العربية وتنوعها في اللغات السامية فقال ان كلمة انبو مثلاً تدل على الثمر مطلقاً ثم قلبت الى عنبو وعنب واختصت بثمر الكرم في العربية والعبرانية والسريانية . وكلمة امرء اصل دلالتها على القوة ولا يزال معناها الرب في السريانية وهي من اصل قديم مشترك في امهات اللغات فانهُ في اللاتينية ڤير ونحوهُ في الهندية . وفصول الكتاب كلها على هذا النسق ويفتقر كثير منها الى زيادة في التحقيق مثل اكثر ما يذكر في علم اللغات لكنها بداءة جليلة لبحث مفيد فنشكر لحضرة واضعها ونتمنى ان يزيدهُ اسهاباً

## الشاي والقوة والدخان

اتحفنا حضرة العالم الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي برسالة في الشاي والقهوة والدخان ذكر فيها اصل الشاي والقهوة وصفاتهما وكيفية اجتنائهما واعدادهما للشرب وخواصهما واقوال شعراء العرب في مدحهما . ثم استطرد الى لدخان فجعل الكلام عليهِ في سبعة فصول في منشإهِ وتاريخ ظهورهِ بين العرب وادوات استعمالهِ ومضرات التدخين من حيث تأثيرهُ في الفم والمعدة والدم والمجموعين العصبي والعضلي ولطائف ما نظم فيهِ

وقد بعث الينا حضرة المؤلف بكتاب قال فيهِ عن رسالتهِ "وكنت من نحو اربع عشرة سنة اتلقف ما جمعتهُ فيها من اسفار عديدة وقد اقتبست من مجلتكم العلمية مواضع لها واكتفيت بشهرتها عن تسميتها" فنشكر لهُ اتحافهُ ابناء العربية بهذه الرسالة المفيدة

## ديوان الجوهر الفرد

اهدى الينا حضرة خليل افندي الخوري صاحب المكتبة الجامعة في بيروت ديوان الجوهر الفرد او الشعر العصري من نظم صاحب السعادة سليم بك عنحوري الشاعر الدمشقي المشهور وهو قصائد ومقاطيع ادبية في التربية والعوائد والاخلاق والحقوق والواجبات والفضائل والنقائص من ذلك قولهُ في الثبات

اثبت بمهنتك التي تختارها    بعد التروي اذ تفوز وتنجحُ
واربأ بنفسك ان تزاول غيرها    كلُّ امرءٍ متقلبٍ لا يفلحُ

والفرق بين البيتين كبير من حيث بلاغة التركيب حتى لا يكاد قارئهما يحسب ان ناظمهما واحد او انهُ نظمهما في وقت واحد . وقال في الصدق

ان خفت شيئًا لا تقل    او قلت شيئًا لا تخف
ان الذي يحكي وينكر م    عدَّ من اهل الخرف

وقال في الكذب

ايها الكاذب الملفق قل لي    اي خير تنال من شر زوركْ
ليس فيهِ سوى الفضيحة والعا    ر فدعهُ تجد علاجَ غروركْ

وكثير من المعاني عصريٌّ كقولهِ في الفضول

يا من نراهُ باحوال الممالك مهـ    ـتمًّا يحدث دومًا عن سياستها
دع السياسة للحكام تصلحها    وانظر امورك وافكر في استقامتها

وقولهِ في المساواة المدنية

اصنع جميلاً ما استطعت ولا تكن    ممن يميز مؤمنًا عن جاحدِ
واحسب جميع الناس شخصًا واحدًا    ثم انعطف حبًّا لذاك الواحدِ

وقوله في التبكير

نم قبل نصف الليل وانهض باكرًا    للدرس والانشاء في الصبح المنيرْ
من كان يحيي ليلهُ بدروسهِ    وينام صبحًا مات اعشى او ضريرْ

وقولهِ في اساس الثروة

تبذيرك المال الذي    تعطاهُ من عدم السدادْ
ليس الفتى بزيادة ال    ارباح بل بالاقتصادْ

وفي هذا الديوان قصائد حكمية جامعة بين الغثّ والسمين والمبتكر والمبتذل مثل غيرهِ من دواوين الشعر في كلّ قطر وعصر

## نسمات الصبا

نسمات الصَّبا في منظومات الصِّبا من نظم حضرة الشاعر الاديب جرجي افندي شاهين عطيه محرر جريدة لبنان وقد اهداهُ الى حضرة والدهِ الفاضل المعلم شاهين عطيه وقال في اهدائهِ

اليك ارفع من نظمي ومن ادبي    ما انت علمتني في سالف الحقبِ
لم ابغِ في نشرهِ فخرًا ولا شرفًا    فقد كفانيَ فخرًا أن غدوتَ أبي

ومن قصائدهِ قصيدة يتغزل فيها بمحاسن لبنان الطبيعية واخرى في وصف المخترعات العصرية مطلعها

أما لابي البرية أن يُعادا    فينظر كيف هذا الكونُ عادا

وقد اجاد في وصف تلك المخترعات من مثل البخار والتلغراف والكهربائية والبلون وغيرها. وكثير من القصائد في المدح والرثاء والتهنئة ومنها قصيدة في الحب قال فيها

ألا ان المحبة خير بردٍ    ينزهُ لابسيهِ عن العيوبِ
وليس الحبُّ وجدك والتصابي    على غزلان رامة والكثيبِ
وليس اخو المحبة من تردَّى    بثوب من تبرُّجهِ قشيبِ
فأوغلَ في المحارم والمناهي    ومال الى التغزل والنسيبِ
ولكنَّ المحبة ان تواسي    اخا النُّوب الملمة والخطوبِ
وانجاد الفقير على الرزايا    ونصرة كلِّ ذي طرْف سكوبِ

ومنها قصيدة رقيقة في “الام والطفل” وقد اشار بها الى امٍ قُتلت هي وطفلها في حادثة انهدام منزل ببيروت. وقصيدة عصرية في فتيان العصر وفتياتهِ وكلا القصيدتين جزل اللفظ حسن المعنى والتركيب

وفي الديوان مقاطيع لطيفة وحكم كثيرة وتواريخ محكمة فنثني على حضرة ناظمهِ عاطر الثناء

## روايتان

امامنا روايتان للتقريظ احداهما رواية “قلب الرجل” من قلم حضرة الكاتبة الفاضلة السيدة لبيبة هاشم وهي رواية ادبية غرامية اهدتها الى جمعية السيدات المارونيات لضم ما يتيسر من ريعها الى دخل الجمعية. وهي اريحيَّة للمؤلفة الفاضلة تذكر لتشكر اكثر الله امثالها بين ربات الاقلام

والاخرى رواية “الهناء بعد العناء” او مدام دي شمبلاوي من روايات اسكندر دوماس وقد عربها حضرة الاديب نجيب افندي مرقس اللاذقاني وطبعها حضرة الخواجه ابرهيم فارس صاحب المكتبة الشرقية على نفقتهِ

## كتب وكراريس مختلفة

من الكتب التي بين ايدينا للتقريظ "المفرد العلم في رسم القلم" لمؤلفهِ الاديب الشيخ احمد افندي الهاشمي مدرس البيان والانشاء في القسم التجهيزي ومراقب مدارس فكتوريا الانكليزية وهو يبحث في كيفية رسم الحروف كالالف والهمزة سواءٌ كانت في اول الكلمة او وسطها او آخرها . وفي ما يجب فصلهُ وما يجب وصلهُ وزيادة الهمزة والالف وهاء السكت والواو وحذف الياء والتاء وما اشبه ذلك من المباحث

ثم "كتاب الدليل النفيس الى اعمال الضبط والبوليس" بقلم حضرة الاديب محمود افندي لطفي احد موظفي قلم ادارة مديرية اصوان . ومن مواضيعهِ اوراق التشبيه والكشوف الطبية والصلح في مواد المخالفات والآلات البخارية والمحلات العمومية والحشيش والخمَّارة واللقطاء والكلاب الضالة والحرائق والاسلحة وغير ذلك من اعمال الضبط في جهات الادارة وما يتعلق بها من لوائح ومنشورات وما طرأً عليها من التعديلات

ثم كتاب "ميامر ثاودورس ابي قرة اسقف حران" وهو "اقدم تأليف عربي نصراني" عني بطبعهِ حضرة المحترم الخوري قسطنطين الباشا احد رهبان دير المخلص وهو كتاب دينيٌّ يبحث في حرية الانسان الادبية والتثليث وموت المسيح وصحة الانجيل وما جرى مجراها من المباحث الدينية

ومن الكراريس كراس في الدولة العلية وماليتها تأليف الكاتب العثماني الغيور ( م . ق ) وقد تكلم فيهِ على شورى الدولة ووزراء المعارف والجمارك والبلديات ووزارات الحرب والبحر والنافعة وسياسة الدولة الخارجية

وآخر في البورصة بقلم حضرة الاديب نسيم افندي العازار وقد بحث فيهِ عن حالات البورصة واعمالها وختمهُ برمل ظريف في البورصة واساليب المشتغلين بها قال في مطلعهِ

هذه البورصة اسم اعجمي     جلبت للشرق من غرب أبرْ
لفظها الناعم اشهى نغمة     من غنا الشحرور في ظل الشجرْ
جعلوها سوق ارزاق لكي     يسهل المتجر فيها للبشرْ
وهي لا قطن ولا بزر ولا     حنطة فيها ولا رسم الدررْ
لا ولا بنٌّ ولا فول وما     لصنوف الرزق فيها من اثرْ
انما ارزاقها اسماؤُها     وعلى القرطاس بالحبر تجر

# باب الاخبار العلمية

## اوجه القمر في شهر يوليو

| | يوم | ساعة | دقيقة |
|---|---|---|---|
| الربع الاخير | ٦ | ٠ | ٥٤ |
| الهلال | ١٣ | ٧ | ٢٧ |
| الربع الاول | ١٩ | ١٠ | ٤٩ |
| البدر | ٢٧ | ١١ | ٤٢ |

### السيارات

يختفي عطارد بنور الشمس في اوائل الشهر ثم يصير نجم المساء

ولا ترى الزهرة لقربها من الشمس

ويشرق المريخ قبل الشمس بساعة

ويشرق المشتري نحو نصف الليل ·

وزحل نحو الساعة ٨ ونصف مساء

## معادن كوريا

كوريا غنية بالمعادن واخصها الذهب والفضة والحديد والفحم الحجري والبترول · فقد استخرج من الذهب من مناجمها ما بلغت قيمتهُ ١٢٠٠٠٤٠ ريالاً سنة ١٨٩٨ و١٦٦٦٧٠١ ريالاً سنة ١٨٩٩ و١٨١٦١٠٠ ريال سنة ١٩٠٠ و٢٥٥٨٧٠٠ ريال سنة ١٩٠١ و٢٥٨٥٢٠٠ ريال سنة ١٩٠٢ ومعظم ذهبها يرسل الى اليابان

## العلوم الطبيعية وغيرها

ادبت الجمعية الملكية الانكليزية مأدبة لاعضاء جمعية الاكاديميات المختلطة التي اجتمعت في لندن حديثاً فخطب اللورد غوشن ناظر البحرية السابق وقال انهُ منذ مئة سنة كان اهتمام الناس بالعلوم التي وراء الطبيعة يفوق اهتمامهم بالعلوم الطبيعية ولكن الحال انقلبت الآن عما كانت عليهِ في ذلك الاوان وظهر كأن العلوم الطبيعية ستسود العالم في مستقبل الزمان واخذت الامم تعدُّها محور نجاحها فالامة التي تعنى بتلك العلوم اكثر من سواها هي الفائزة في معترك الحياة · ولكن يسرُّني ان اكثر الاكاديميات تعلِّم العلوم الادبية والسياسية مثلما تعلم العلوم الطبيعية وان لم تكن نتائج الاولى مثل نتائج الثانية وضوحاً وجلاء . وعندي انهُ يحسن بالجمعيات التي وقفت نفسها على ترويج العلوم الادبية والسياسية ان تثبت في مزاحمة العلوم الطبيعية ليتمَّ لها الفوز على الجمعيات التي تهتم بالعلوم الطبيعية وحدها دون غيرها

ثم تلاهُ الكونت دي فرانكفيل فقال ان العلم لا وطن لهُ وهو وطنية البشر كلهم وان كل اكتشاف علمي واعتقاد وخطوة في

سبيل التقدم والارتقاء تنبث في كل بلاد مثل اشعة الشمس التي تنير ارجاء العالم مهما اختلفت نحل العلماء ومواطنهم . ولامرٌ طبيعيٌّ ان يشترك الجميع في ما يعود بالخير عليهم كلهم

## ترياق سمّ الافعى

ادبت جمعية الاطباء الاميركيين مأْدبة حديثاً فأَعلن فيها الدكتور متشل ان طبيباً يابانيًّا مشهورًا من اطباء مدرسة المصل في كوبنهاغن اكتشف ترياقاً لسمّ الافعى المعروفة بذات الاجراس واسم الطبيب نوجوتشي وانما اعلن الدكتور متشل خبر هذا الاكتشاف دون غيرهِ لانهُ سعى منذ اربعين سنة في اكتشاف دواءٍ يشفي من لدغ هذه الافعى فلم يظفر بطائل. وقد ارسل الدكتور نوجوتشي كتاباً اليهِ يقول فيهِ انهُ استخرج المصل من دم المعزى والمرجح انهُ يمكن استخراجهُ من دم الخيل ايضاً كسائر المصل الذي يستعمل الآن . ووجد المكتشف انهُ اذا حقنت الخنازير بسم الافعى اثنتي عشرة مرة بحيث يبلغ مقدار السم الذي حقنت بهِ المقدار اللازم لموت الملدوغ ثم لقحت بالمصل المذكور لم تظهر فيها اعراض السم

## خسارة اليابان البحريّة

خسر اليابانيون بلا حرب اكثر مما خسروهُ بالحرب وكانت خسارتهم هذه كلها بحرية فانهُ بينما كانت النسافات اليابانية تطهر مدخل خليج كر من الالغام المنصوبة فيهِ مست احداها لغماً فأَطارها . والمصائب لا تأْتي فرادى فلم يمضِ على ذلك بضع ساعات حتى مست مدفعية من مدفعياتهم لغماً فنسفها . وبعد ذلك بايام قليلة صدم الطراد المدرع كاسوجا الذي اشترتهُ اليابان من جمهورية شيلي الطراد المحمي يوشينو فاغرقهُ هو ومعظم بحارتهِ ومست البارجة هتسوسي اليابانية لغماً فاغرقها وغرق معها اكثر من نصف بحارتها وهذه البارجة اعظم بوارج اليابان واجملها بعد البارجة ميكاسا بل هي من اعظم بوارج الدنيا. ولم يمضِ على ذلك زمن طويل حتى غرقت لهم متلفة للتوربيد اسمها اكاتسوكي

ومحمول هذه السفن ٢١٤٧٠ طنًّا ومحمول سفن الاسطول كلها ٢٣٨٠٠٠ طنٍ ويقال ان الاسطول الياباني فقد ١٥ في المئة من قوتهِ الاصلية وهي خسارة تذكر

اما الطراد يوشينو فقد صنع سنة ١٨٩٢ وتفريغهُ ٤١٥٠ طنًّا وسرعتهُ اكثر من ٢٣ ميلاً بحريًّا في الساعة . واما البارجة هتسوسي فمحمولها ١٥ الف طنٍ وعدد ضباطها و بحارتها ٧٤١ وقوة آلتيها البخارية ١٦١١٧ حصاناً وسرعتها ١٩ ميلاً بحرياً في الساعة

## قتلى سكة الحديد والحرب

يؤْخذ من بعض الاحصاءات ان عدد

الذي قتلتهم سكة الحديد في الولايات المتحدة الاميركية في اكتوبر ونوفمبر وديسمبر من سنة ١٩٠٣ بلغ ١١٦٦ نفساً وعدد الذين اصيبوا ولم يقتلوا ١٣٣١٩ نفساً فالمجموع ١٤٤٨٥ نفساً قالت الجريدة التي نقلت هذا الخبر ولا نعلم عدد الذين قتلوا وجرحوا في حرب روسيا واليابان الى الآن ( ٢٨ مايو ) ولكننا لا نخطئ اذا قلنا انهم اقل من المجموع المتقدم ذكرهُ. على ان احصاء قتلى سكة الحديد وجرحاها انما هو عن ثلاثة اشهر فقط واما حرب روسيا واليابان فقد مضى عليها ثلاثة اشهر وثلاثة اسابيع الى الآن

## كرات النجاة

تحمل السفن الكبيرة قوارب صغيرة تسمى قوارب النجاة والغاية منها انقاذ الركاب فيما لو انكسرت السفينة او اصابتها مصيبة تعوقها عن المسير. ولكنَّ تلك القوارب كثيرًا ما لا تفي بالغرض الذي وضعت لهُ اما لوقوع النكبة فجأَة فلا يكون ثمة فرصة كافية لانزال القوارب الى البحر وانزال المسافرين اليها واما لاشتداد النوء فيسلم الركاب من الخطر العاجل ليقعوا في الخطر الآجل يسلمون من الغرق مع السفينة لتتقاذفهم الامواج وتتلاعب الانواء بهم وبقواربهم ثم تلقيهم في قرار اليمّ بعد ما تذيقهم العذاب الاليم

وقد اخترع ضابط نروجي اسمهُ الكبتن دونيج آلة على شكل الكرة تقوم مقام قارب النجاة وتفضلهُ من جميع الوجوه وجرَّبها منذ سنة ثم عاد فجرَّبها اخيرًا فجاءت وافية بالغرض المقصود منها والكرة مصنوعة من الحديد سمكها بين ٥ بوصات و١٦ بوصة من اسفلها و٣ بوصات من جوانبها و٨/١ بوصة من اعلاها وطول قطرها الافقي ثماني اقدام وعلوها ٢/١ ٦ قدم ولها قعر مزدوج وثلاثة ابواب تقفل فلا ينفذها الماءُ. وفيها آنية كبيرة للماء العذب تسع ١٥٠ جالونًا وطعام محفوظ في صناديق وعلب. وفي وسط الغرفة الداخلية انبوبة كبيرة لتجديد هواء الكرة

وفي اعلى الكرة ثلاث نوافذ صغيرة لدخول النور وارسال الاسهم النارية في الفضاء استنجاداً بالسفن المارة. وفيها دفة ومجاذيف وعلى دائرها من الخارج منطقة من الفلين يقف عليها المجذفون. وفيها مرساة واشرعة وغير ذلك من الادوات التي تكون في السفن الشراعية عادة. وثقل الكرة كلها طنان اي قدر ثقل قارب النجاة الكبير وثمنها مئة جنيه وهي تسع ٢٠ نفساً وتشغل على ظهر السفينة حيزًا أَضيق مما يشغلهُ قارب النجاة

وقد جرّبت هذه الكرات والنوءُ شديد والبحر عجاج فنجحت التجربة كل النجاح. وشهد الخبيرون انها جاءت طبق المرام في احوال لا تصلح قوارب النجاة العادية فيها ولا تجدي

نفعاً ٠ ولا حاجة الى انزال هذه الكرات الى البحر عند وقوع الخطر بل انها تطفو من نفسها وقت غرق السفينة

## الكهربائية في المدن الكبيرة

خطب الاستاذ سمث الاميركي خطبة في مستقبل المدن الكبيرة والكهربائية فقال ان ثمن قوة حصان واحدٍ من المجرى الكهربائي لاحداث الحركة والنور في الساعة كان ثلاثة غروش في مدينة سان فرنسسكو منذ سنوات قليلة ٠ اما اليوم فقد نقص الى سبع ما كان عليهِ وانهُ يمكن ادارة المعامل التي على ساحل الاوقيانوس الباسيفيكي بقوة تأتيها من حيث يذوب الثلج على الجبال الصخرية بنفقة اقل من نفقة البخار ولو كان الوقود يقدم اليها بلا ثمن . وقد قدروا ان مقدار الحامض الكربونيك الذي يقذفهُ اهالي مدينة نيويورك من رئاتهم يبلغ ٤٥٠ الف طنٍّ في السنة وان هذا المقدار اقل من ٣ في المئة من الحامض الكربونيك الذي يتصاعد عما يوقدهُ الاهالي من النار في السنة ٠ فاذا امكن ابدال النار والبخار بالكهربائية فى الاعمال تحسن هواء المدن الكبيرة لقلة مايقذف من الحامض الكربونيك

## الدكتور كوخ والسل

قالت اللجنة الملكية الانكليزية التي انتدبت لدرس داء السلّ في تقريرها ان هذا الداء واحد في الانسان وسائر الحيوان فناقضت بذلك رأي الدكتور كوخ وهو ان السلّ الذي يصيب الانسان غير السل الذي يصيب البقر ٠ وقد قابل بعضهم الدكتور كوخ واستطلعهُ رايهُ فى ذلك فقال اني لا ارى ثمة سبباً يحملني على تغيير رأيي الاول الذي توصلت اليهِ بعد طول البحث والامتحان وهو انهُ ليس عندنا دليل يثبت ان الناس يصابون بالتدرُّن الذي يصيب البقر الاَّ اصابة خفيفة جدًّا ٠ ولقد درست اللجنة نصف المسألة غير المهم فقط ونبذت النصف المهم ٠ فان كان قولها صحيحاً فمن العجيب ان لا يعرف الاطباءُ حادثة واحدة انتقلت فيها عدوى التدرُّن الى الملايين الكثيرة من الرجال والنساء والاولاد الذين ياكلون لحم البقر المصابة بالتدرن ويشربون لبنها ٠ والخلاصة ان هذه الجلبة التي اقاموها على اللبن في مقاومة التدرن قليلة الجدوى وكان الاولى بهم ان يهتموا بالاسباب الجوهرية التي ينشأُ الداءُ عنها مثل بصاق المسلولين وسكن المنازل غير الصحية

## الكهربائية في كوريا

قد يظن لاول وهلة ان بلاد كوريا في اقصى المشرق خالية من كل آثار الحضارة لكن من يطالع المقالة المدرجة في اوائل هذا الجزء في " فضل الشرق على الغرب " يجد

ان الكوريين سبقوا غيرهم من امم الارض الى استنباط الطباعة بالحروف المنفصلة . وقد وقف عمرانهم فلم يتقدَّم كما تقدَّم العمران الاوربي ولكن الاهالي ميَّالون الى اقتباس اساليب العمران وعاصمتهم سيول سبقت عاصمتنا القسطنطينية الى استخدام المستنبطات الحديثة فان في سيول شركة كهربائية مهندسها المستشار رجل ياباني درس في اميركا وهذه الشركة تنير المدينة شوارعها ومنازلها بالنور الكهربائي وتسيّر فيها سكة كهربائية من نوع الترامواي . وفي شملبو احد ثغور كوريا معمل كهربائي لانارة المدينة وادارة الآلات المختلفة . وفي فوزان شرقي كوريا معملان كهربائيان وكان في النية مد سكة حديد كهربائية منها الى مترمبو وتنجي . والتلفون شائع في سيول ايضاً وهو يزيد انتشاراً فيها بعد احتلال اليابانيين لها . فبلاد ارضها غنية بالمعادن والخيرات وشعبها لا يأنف من اقتباس المعارف والمخترعات لا يبعد ان تفوقنا بعد سنين قليلة كما فاقتنا بلاد اليابان اذا بقينا على ما نحن فيهِ من الجمود

## احتراق باخرة

من حوادث الشهر الماضي المشومة حادثة لا يشبهها في شدة هولها الاَّ حادثة احتراق مرسح التمثيل في شيكاغو منذ نحو اربعة اشهر. والمصيبتان من نوع واحد — فان سببهما النار ومعظم الذين احترقوا فيهما من النساء والاولاد وقد كانت غاية الفريقين النزهة وتسلية الخاطر . فانقلبت تلك النزهة ناراً حامية تصهر النفوس قبل الاجسام

وتفصيل الحادثة ان باخرة اسمها "الجنرال سلوكم" خرجت صبيحة يوم ١٥ الماضي من مكان قرب مدينة نيويورك اسمهُ "ايست رفر" وهي تقلُّ ١٨٠٠ امرأَة وولد من اعضاء مدرسة الاحد التابعة لكنيسة ماري مرقس الانجيلية اللوثرية الالمانية خرجوا يطلبون النزهة وكانوا لابسين ابهى ملابسهم وحاملين الرايات والاعلام بايديهم

وبعد سفر الباخرة بساعة شبت النار فيها وهي مارة في مكان ضيق تحفُّ بهِ الصخور عن الجانبين يسمى "باب جهنم" فاراد ربان الباخرة ان يعود بها فلم يستطع بسبب ضيق المكان فضاعف سرعة الباخرة فزادت النار تاججاً فبات الركاب بين موتين فاما الموت بالنار حرقاً او بالبحر غرقاً فالذين سلموا من النار لم يسلموا من اللجج . وبلغ عدد الذين قتلوا نحو الف نفس . وكثيرون من الذين نجوا جنُّوا من هول ما رأَوا

وقد قال ربان الباخرة ان الرجال الذين يتولون ادارة الباخرة في غرفة الآلات لم يلبوا اشارتهُ ولو فعلوا لادار الباخرة وسار بها الى اقرب مكان في البرِّ

## فهرس الجزء السابع من المجلد التاسع والعشرين

٥٦١ تمثال الدكتور بلس ( مصوَّرة )
٥٦٤ فضل الشرق على الغرب
٥٦٧ الصور في الطباعة ( مصوَّرة )
٥٦٩ قوانين يوستنيانوس . للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني
٧٥٩ جبل المصايب . لجبره افندي تاوضوروس
٥٨١ جبل التعاسات . لنسيم بك خلاط
٥٨٨ العقد الفريد . لمحمد افندي كرد علي
٥٩٦ مستقبل افريقية
٥٩٩ الخطر الاصفر
٦٠٥ حال العالم في الشرق . لابرهيم افندي الحوراني واسعد افندي داغر
٦١٠ الاحتفال بمترجم الالياذة
٦١٩ اخلاق عرب السودان وعاداتهم وخرافاتهم . من كتاب تاريخ السودان
٦٢٥ السلّ

٦٢٨ باب الزراعة ✲ غسول مكدوجال . القراد . القمل . الجرب النعروذباب الخيل . موسم القطن محصول القطن في اميركا . حشرتان
٦٣٥ باب المراسلة والمناظرة ✲ منزلة الشعر من التاريخ
٦٣٧ باب التقريظ والانتقاد ✲ تاريخ السودان . تاريخ اللغة العربية . الشاي والقهوة والدخان . ديوان الجوهر الفرد . نسمات الصبا
٦٤٣ باب الاخبار العلمية ✲ وفيه ١١ نبذة
رواية البوليس السري ملحقة بالمقتطف

# الفصل الثامن عشر

## لعب الايكرتيه

وبعدما فرغت من كلامها دخلت غرفة البلياردو ومعها كرتر وبركز والسيدة ارلنفورد التي تبعتها لتحول دون اتمام مرادها . وهمَّ غودارد ايضاً بالدخول لكنَّ ارلنفورد انتهز فرصة الكلام معهُ فاوقفهُ قائلاً لهُ : — انك ياغودارد صديق قديم لالس فاروم منك ان تشير عليها بان تكون الين عريكة مع السيدة دشتون

— يجب عليك ان تطرد هذه الخليعة من بيتك

— باي حقٍ تتعرض لما يتعلَّق بي وحدي

— بحق القرابة والصداقة

— انظر ياغودارد لم يعد يمكنني الصبر . ويشقُّ عليَّ ان أراك تحبُّ امرأتي على مسمع مني ومرأى وسأمنعك ان تراها بعد الآن

— أُحبُّها ؟ أنا — اه يا كاذب الرجال ونذل الانذال . ولولا حرمتها وخوف تكديرها لاريتك عاقبة هذا الكلام في الحال ولكن ليس هنا مشهد الانتقام منك فقريباً نلتقي

وقد فاه بهذه الجملة الاخيرة على مسمع الآخرين فخرجوا على الفور من غرفة البلياردو . واسرعت الس للفصل بينهما وقالت : — ماذا حدث ؟ اراكما تختصمان !

فاجابها غودارد : — لا . لا . بل هي محاورة طفيفة . وقال زوجها

— اختلفنا على شيءٍ في لعبة الايكرتيه وسنفصلهُ الآن ان شئت ياغودارد . اني اراهنك على صحة قولي بمئة جنيه .

— قبلت وسنرى من منا هو المصيب

وجلسا على مائدة وظلَّ البرنس يقلّب الصور ولم يخفَ عليهِ ماحدث وجلس كرتر وبركز يتحادثان والس بجانب النار وكتي على البيانو .

وما شرعا في اللعب حتى انسلَّت املي من غرفة البيانو فنظر سكولوف الى ساعتهِ واذا هي احدى عشرة . وكان على غودارد ان يذهب بعد ربع ساعةٍ فدنت املي من ارلنفورد واسرَّت اليهِ : — لقد عيل صبر البرنس سكولوف فهل اشرع في العمل ؟

— البسي القلادة

— اذًا تتأخر الرسائل وتنال انت مطلوبك فطب نفسًا وقرَّ عينًا

واذ ذاك اقترب البرنس سكولوف من السيدة ارلنفورد وقال

— أراك شاحبة اللون فعسى ان لاتكوني متألمة من مرض. وعندي انك تغادرين لندن طلبًا للتنزه . وعلى اللورد ارلنفورد ان يذهب بكِ الى نيس .

وحينئذ دخلت املي وفي عنقها قلادة من الدر الفاخر تسطع كالنجوم الزواهر فلما رأتها الس اجفلت مذعورة واماسكولوف فقال بلهجة دلَّت على خلو ذهنهِ من هذه المسألة : —

— يالها من قلادةٍ نفيسة ! عفوًا ايها السيدة املي فاني لم انظرها في عنقك قبلاً

— نعم انها جميلة الى الغاية وقد أُعطِيتها هديَّةً

فالتفت غودارد ونظر الى القلادة . اما الس فبالجهد استطاعت الجلوس على كرسيها . فاسَّر غودارد الى ارلنفورد الجالس مقابلهُ على المائدة قائلاً :

— يالك من نذلٍ مهان

— اراك ظهير زوجتي فناضل عنها ان استطعت

فقالت املي لسكولوف : —

— تعال ايها البرنس وكن من جملة اللاهين بمشاهدة اللعب

ثم تقدمت نحو اللاعبين يتبعها المستر بركز واخوها كرتر . وفي اثناء ذلك اقتربت الس من المائدة وانحنت الى اسفلها والتقطت من تحتها احدى الاوراق التي لم يستعملها اللاعبان "جويزة السباتي" وكتبت عليها بمزيد السرعة ما معناهُ : —

"لم اعد استطيع البقاء في هذا البيت ساعة واحدة ولا بُدَّ من ذهابي معك"

وكانت املي دشتون تترقبها . أَما الس فدنت من غودارد والقت الورقة التي كتبت عليها تلك الجملة في حضنهِ . فأَخذها بخفة زائدة واخفاها غير عالم ان املي مترصدة كل حركة حدثت فاسرعت الى جهة ارلنفورد واطلعتهُ سرًّا على ماجرى فرفع نظره الى غودارد وسأَلهُ: ماذا اخفيت

— انا — انا ؟ لم افهم معناك

— اظهر الورقة التي معك

— ليس ذلك في امكاني

— هكذا ظننت

ثم القى من يدهِ ورقة الى يد املي دشتون باسرع من وميض البرق بحيث لم يتمكن احدٌ

من رؤيتهِ ونثر بقية الاوراق على المائدة وقال

— انظر فإن ورقة " الروَا " او ( الرية ) ليست معي

فصاح غودارد وهو يكاد يتميز غيظاً : —

— ماذا تعني بهذا

— اعني اني لا العب مع رجل خدَّاع !

فنهض غودارد على قدميهِ وصرخ ضاغطاً صدغيهِ بيديهِ : — يا ويلاه !

ثم دخل رجل طاعن في السن عليهِ شارة العسكرية وهو الجنرال سافيل فقال : —

— كيف حالكم جميعاً ؟ بشراك يا غودارد فان الدوك اجاب طلبي من جهة ترقيتك وبعد رجوعك من سفرك تكون اركان الحرب

ثم لاحظ هذا الجنرال السكوت المستحوذ على الجميع والامتقاع العابث بوجوه اكثر الحاضرين فسأل : —

— ماذا عسى ان يكون ؟ ولمَ اراكم جميعاً سكوتاً ؟

فأعاد ارلنفورد جملتهُ الاخيرة وزاد عليها بعض الشيء قائلاً : —

— أُعيد القول ان تصرُّفك هذا لايسمح لمن كان نظيري أَن يلعب معك واطلب خروجك من بيتي في الحال

فصاح الجنرال سافيل : —

— ارلنفورد ! كيف تجاسرت على مثل هذا الكلام . زدني ايضاحاً والاَّ فانت مختل العقل

— هاك الايضاح — ان القائد غودارد اخفى ورقة ليست لهُ وابى اظهارها وهي " رْوَا السباتي "

— فَنِّدْ يا غودارد كلامهُ وبيّن كذبهُ أَجب في الحال

— انهُ محض افتراء

— فقال ارلنفورد : — اذاً ارِنا الورقة

وصرخ الجنرال : —

— نعم اظهرها

— لا اقدر

ثم استولى على الجميع سكوت عميق اعترضهُ صوت سقوط وذلك ان السيدة ارلنفورد كانت في اثناء هذه الحادثة تجهد نفسها في التكلم فلم تستطع اليهِ سبيلاً كأَنَّ كامةً من حديد

وُضعت على فمها . ولمَّا تكلم غودارد كلمتهُ الاخيرة سقطت مغشيًّا عليها . فقال الجنرال بلسان الغيظ والحنق :—

— اعلم يا غودارد انهُ لم يبقَ لك سوى الاستقالة من الرسالة التي كنت مزمعًا ان تسير فيها وقد أُقلتك مذ الآن . ولو كنت يا بنيَّ قاتلاً لكان ذلك ايسر عندي خطبًا مما شهرتَ فيهِ هذه الساعة !

ثم اشاح بوجههِ عنهُ واذ رأى سكولوف تقدَّم اليهِ . فصرخ غودارد

— يا تلفي ويا خرابي !

وخرج

وبعد ساعة ذهب سكولوف الى بيت املي دشتون واعطاها عشرة آلاف جنيه حوالة على بنك انكلترا

# الفصل التاسع عشر

## في مرقب سياسي

ان الحوادث السياسية التي بدأَت عام ١٨٧٦ بلائحة الكونت اندراسي انتهت بمؤتمر الاستانة في شهر يناير عام ١٨٧٧ وفي اواسط هذا الشهر ذاع في عواصم اوربا خبر رفض الاقتراحات التي عُرِضت على الباب العالي في المؤتمر المذكور . وفي آخر مارس ارسلت الدول بلاغاتها الاخيرة الى جلالة السلطان وفي ٢٤ ابريل اضطربت اوربا اذ سمعت ان روسيا شهرت الحرب على تركيا وفي شهر اوغسطس — وقت عود قصتنا على بدءٍ — أُنشئ مرقب روسيا السياسي في قرية دوه كوي في البلقان بين اسكي زهرة وادرنه واقام فيهِ البرنس سكولوف والشيطانة الجميلة يراقبان مجاري الحوادث السياسية

وقبل هذا الوقت باسابيع قليلة جاءت اليهما املي دشتون فانها عانت كثيرًا من ضروب المشاق والاتعاب في إخفاق مساعيها وخيبة آمالها بعدما فارقناها في لندن. وقد طرأت اختلافات مهمة وتغيُّرات ذات شأن على حياة اكثر ممثلي هذه الرواية الذين اشتركوا في تمثيل ذلك الفصل في بيت ارلنفورد في تلك الليلة التي قضت على غودارد بالوقوع في الشرك الذي أُخفي لهُ

اما السيدة ارلنفورد فظلَّت اياماً طوالاً على فراش النزع تراوح بين الموت والحياة وكانت

في أثناء بحرانها وذهولها تهذي كثيرًا وتشير الى حادثة تلك الليلة الهائلة . ولما شفيت من الم هذه الضربة الثقيلة وثاب اليها رشادها كان غودارد قد اختفى اختفاءً طمس عن العيون آثارهُ وقطع عن الآذان أخبارهُ . ثم انتقلت السيدة ارلنفورد الى بيت امها حيث عملت كتي مدلتون على ملازمتها وتسليتها ووقفت منها على باطن تلك القصة واحاطت علمًا بكل ما يتعلق بها . فاخذتا تقلبان الافكار وتتبادلان الآراء في هذا الحادث الجلل . وبعد امعان النظر رأتا انهما اذا نشرتا حقائق هذه المسألة بين ظهراني القوم في غياب غودارد تعرَّضتا لاتهام الناس اياهما بانهما اخترعتا ما كتبتاهُ اختراعًا لتبرئة من حاول ارلنفورد اتهامهُ بمحبة زوجتهِ . وبناءً عليهِ اجمعتا على التأني لعلهما تسمعان خبرًا عن غودارد فتدعواهُ الى مساعدتهما على تبرئة ساحتهِ من التهم التي رماهُ بها اللورد ارلنفورد واملي دشتون واخوها الماجور كرتر

وقد انتهت مسألة لبس القلادة وما تبعها من حوادث تلك الليلة الى غاية تعذَّر تعديها وانتجت نتيجة لم يمكن تلافيها ألا وهي طلاق اللورد ارلنفورد الذي تمَّ بحكمٍ غيابي عليهِ اذ لم يجب دعوة المحكمة بالحضور امتثالاً لاشارة املي دشتون . وبعد اختفاء غودارد لاحظ ارلنفورد ان الناس اخذوا ينظرون اليهِ في الاندية والمجتمعات العامة نظرات ابرد من رياح الاصقاع القطبية وابوا عليهِ التفوه باسم “ غودارد ” وخيبوا مساعيهُ في تذنيب ذلك القائد وتعظيم جنايتهِ حتى ملَّ الاقامة في لندن فهاجرها وخرج يجول في نيس ومونت كارلو . ولم تبطئ املي دشتون ان لحقت بهِ وقضت معهُ وقتًا لم تصب فيهِ عيشًا اغراها بالبقاء واطالة شقة المكث . ولهذا لم تلبث ان لبت دعوة البرنس سكولوف لها الى شبه جزيرة البلقان اذ توسمت في هذه الدعوة فرجًا تنشط بهِ من عقال القنوط والفشل وتنسمت ريحًا مثقلةً باطياب الرجاء والامل . ولما بلغت المرقب السياسي اعلنت رغبتها في القيام بخدمة سكولوف وذكرتهُ ما لهُ عليها من سالف الفضل وسابق المعروف

وقد صاقب طلاق السيدة ارلنفورد وقت اقتران كتي مدلتون بدك سافيل . اما الانباء عن غودارد فكانت في الاول الامر قليلة جدًّا ثم انتشرت ملتبسةً مقلقة واخيرًا ذاعت ناعية محزنة فانهُ بعد خروجهِ من منزل ارلنفورد ذهب بالرسائل التي كان مندوبًا للسفر بها وسلمها الى رئيسهِ رافعًا اليهِ استقالتهُ من منصبهِ فحملها رسول آخر مع بريد الساعة العاشرة في صباح اليوم التالي ثم خلا في ذلك اليوم وقتًا طويلاً بالجنرال سافيل ولما خرج من لدنهُ كانت الدموع ملءُ عيني ذلك الشيخ الجليل أسفًا على سوء مصير غودارد . وقد اوضح اسفهُ هذا على مسمع كثيرين في احد الاندية بقولهِ : —

— مهما يكن من هذه الرزيئة الفادحة التي اصابت غودارد فاني لا انفك احبهُ واعجب بهِ اعجاباً لا مزيد عليهِ . نعم انهُ لم يطلعني على شيء من خفايا تلك الحادثة لكنني أُقسم لكم انهُ منقطع النظير في عزة النفس وطهارة الضمير . ولا بد اننا نقف يوماً على كنه هذا الحادث الجلل أما الآن فليس لنا غير الصبر وتوقع تحقيق الامل

وفي اليوم التالي سافر غودارد الى اميركا . وفيها شاع انهُ انتظم في سلك الخدمة العسكرية وشهد موقعة في الثورة التي نشبت حينئذ في داخليتها فاصابتهُ رصاصة اوردتهُ حتفهُ

ولنرجع الى تتبع حوادث قصتنا فنجد البرنس سكولوف جالساً في غرفتهِ الخاصة في مرقبهِ السياسي مكبّاً على مطالعة ما لديهِ من الرسائل وامامهُ خريطة يمعن نظرهُ فيها من وقت الى آخر . وعلى يساره كاتم اسرارهِ ديمتري كيراتيف ينتظر فراغ رئيسهِ وانتباههُ اليهِ . فرفع سكولوف نظرهُ من الخريطة وخاطبهُ قائلاً : — هات ما عندك من الانباء

— ان السيدة دشتون حاولت هذا الصباح فتح كيس البريد بدعوى انها وضعت فيهِ رسالةً سهواً . وقد فتحتهُ لها فلم يكن فيهِ شيء مما ادعتهُ . والبارونة التدروف بعثت الى سموكم برسالة مع رسولها الخاص قبل الفجر

— هل عرفت مضمونها ؟

— كلاً لاني لا اتعرض لما يرد منها او يصدر اليها

— هل راقبت رسولها عند رجوعهِ ؟

— نعم وقد سار في جهة اسكي زهرة

— ألم يرجع بعد ؟

— كلا

— هل من شيء آخر

— كلفتني السيدة دشتون اهداء احترامها اليكم وطلب الاجتماع بكم متى شئتم

— اين هي الآن ؟

— خارجاً تتمشى في الرواق

— أُدعُها اليَّ حالاً

فخرج ديمتري يدعوها وفي غيابهِ قال البرنس سكولوف في نفسهِ كأنهُ يخاطب أملي دشتون

— حقًّا يا أملي انك لاتستطيعين ان تمسكي نفسك من الاستغراب لانك متشوقة جداً الى الاطلاع على اسباب دعوتي اياك من مونت كارلو الى هنا . فاحذري ! نعم احذري !

انك خادمة نشيطة . لكنك اصغر جدًّا من التسلط واستلام زمام الترأُّس . وقد حاولتِ الاطلاع على رسائلي ! فما هذا النشوز ! أَ الى هذا الحد بلغت بك القحة والجرأة ؟

ثم استلقى على كرسيهِ واوغل في الضحك . ودخلت املي اذ ذاك فقالت :—

— ماذا ؟ على انفراد وفي سرور ؟ يالك من رجل سعيد !

— ان أُولي الحزم والدراية لايتكلون على احدٍ في شيءٍ ولو كان مما يبعثهم على المسرة والانبساط

— اصبت . ولكن هل انت واثق انك حرٌّ ومستقلٌّ بقدر ما تظنُّ ؟

— تلك دروس املاها عليَّ اساتذة التجربة والاختبار في مدرسة هذه الحياة .

— اراك نظيرا اكثر طلبة هذه المدرسة الذين أُولعوا بدرس الآخرين فقضوا وقتهم فيهِ وشغلُوا بهِ عن درس انفسهم . تخلَّ عنك هذه التعللات الباطلة واتركها لحمقى نظيري

— هذا ما كان من قبيل سروري . فلننظر في ما يتعلق بكِ . بلغني انكِ ترومين الاجتماع بي

— نعم لاني لم ارتضِ بنتائج تلك الحادثة وقد وعدتني المساعدة وبناءً على وعدك هذا اتممتُ ما اقترحتَ عليَّ اتمامهُ . ولم ارتب في ان السيدة ارلنفورد عندما تنظرني لابسةً القلادة تُقدم على فعل ما يُسبب عاقة غودارد وكان كما توقَّعت . لكنني لم انل شيئًا مما رجوتهُ ولا زدت اقترابًا مما عللت نفسي بالوصول اليهِ والحصول عليهِ . حتى سئمت السعي ولم يعد لي طاقة على تحمل المشقة والنصب فجئتك التمس منك ان تفرج كربي وتهبني راحة من العناء والتعب

— واعجبا ! أَيصحُّ في شرعكِ وقضائكِ ان أُوخذ بخطائكِ ؟ نعم اني اقترحتُ عليكِ السعي في عاقة غودارد واعداً اياكِ باحسن جزاء فاقدمتِ على عاقتهِ فنجحتِ فنلتِ الجزاء مبلغًا فاحشًا أَليس كذلك ؟ اذًا من اللورد ارلنفورد شكواكِ وعدم رضاكِ لا مني . قولي لي صريحًا ماذا وعدكِ ؟ مالكِ ساكتةً لا تجيبين ؟ لكني اعلم . وعدكِ انهُ اذا امددتهِ بالمال يطلِّق زوجتهُ او يكرهها على طلب الطلاق ويتزوجكِ . فقد انجز القسم الاول من وعدهِ واخلف القسم الثاني

— كيف عرفت هذا ؟

— لم اعرفهُ من احدٍ سواكِ . لكنك اخطأت في تعليل نفسكِ بهذه المطامع فكامرأةٍ تكونين عندهُ مطلوبة محبوبة واما كزوجة فمكروهة ممقوتة

— او تظنني لتوغلي في معاناة مشاق هذه الحياة عدمتُ الشعور الى هذا الحد ؟ . كلا لست كذلك . ارعني سمعك . اني مغرمة بجاه ارلنفورد ولست اجهل نكد طالعهِ وسوءَ مصيرهِ

ولعل هذا من اكبر البواعث التي حملتني على حبهِ . ولا يمكنني ان اصدق عدم اهتمامهِ بي . ولو لم تجرِ رياح الامور على خلاف مشتهاهُ لما تأخر عن ان يبرَّ بوعدهِ . ولكن بعد الطلاق التوى القصد وساءت الاحوال حتى أُكره على مزايلة لندن فصحبتهُ الى نيس وهناك افلس ولم يعد في طاقتهِ ان يأتي حراكاً بلا مال والعياذ بالله من صفرِ الاناء وقرع الفناء

فاجابها باسماً : — اسمحي لي ان ابين لكِ انهُ لن ينجز وعدهُ مهما حسنت حالهُ

— كيف ؟ أَمرادك انهُ لا يهتمُّ بي اهتماماً حقيقيًّا ؟ لو ظننت —

فاعترضها قائلا : — ان اللورد ارلنفورد ساع الآن في الاقتران بسيدة اميركية غنية وهي ابنة عم المستر بركز الذي اجتمعنا بهِ في تلك الليلة فلا يبالي بسوى المقامرة وسيكون ميلهُ اليكِ دائمًا على قدر الدراهم التي تجمعينها لهُ . فاخبريني الآن بالمبلغ الضروري — لسعادتك ورفاهيتكِ واخدميني فيهِ بسعي صادق في سبيل الوقوف على بعض التفاصيل عن موت القائد غودارد لأَنَّ ذلك يهمني جدًّا

— غودارد ؟ اين آخر عهدنا بهِ ؟ مهلاً اين آخر عهدنا بهِ ؟ الآن تذكرت . بعد ما أَلَمَّت بهِ تلك الفضيحة سافر الى داكوتا في اميركا وهناك تجنَّد في إخماد الثورة وقُتل اليس كذلك؟

— لكني اروم الوقوف علي التفاصيل بجائزة حسنة فهل لي أَن استعين بكِ على ذلك ؟ اني ارى تغييرًا عظيمًا في الشيطانة الجميلة فلم تعد تبالي بشيء ولم ادرِ السبب

— قلت مرة ” ان الشيطانة الجميلة لا تطلع احدًا على ما تروم كتمهُ “ وهذا هو جوابي الآن لك فاني امرأة عصبية المزاج شديدة التأثر و — هو ذا الشيطانة الجميلة خارجًا تتمشى ولعلها تروم الدخول . وقبل خروجي اقول لك اني مستعدة على الدوام ان ابذل جهدي في مساعدتك . فهل اذهب الآن ؟

— كلا

ثم نهض لملاقاة الشيطانة الجميلة وهو يقول في نفسهِ عنها :—

— من ذا يرى وجهها الجميل السائل برقة الملاحة و يصدِّق انها صلبة يتعذر استمالتها؟ فقد قضيت الآن نحو سنة وانا اشبه بفراش حول لهيب جمالها الساحر وحسنها الباهي الباهر — نعم انا — الكسس دورسكي !